الفصل الرابع :

الشيوعيون وعبد الناصر ..

* انى اشعر ان قضية الوطن اكبر من كل شيء وان محاكمتى ليست مجرد محاكمة لفرد .. انما هى اخطر من ذلك بكثير .. انها قضية مبدأ ..

(شهدى عطية الشافعى)

من رسالة وجهها من السجن الى عبد الناصر.

* ان قلب الانسان شيء عجيب حقا ، لاسيما اذا كان يحمله فى حافظة نقوده .

(كارل ماركس)

رأس المال . الجزء الاول

ان لنا ان نقطع الان ان [illegible] ..
الخلافات بين الشيوعيين والحكم ..
والخلافات بين بعضهم البعض ..
ولقد اتفقنا على تناول الامر كله عبر محورين اساسيين :
الديمقراطية و .. القومية العربية

ولنبدأ بقضية الديمقراطية ..

واذا كان علينا أن نبدأ بالبحث عن نقاط الالتقاء بين الشيوعيين والحكم وبينهم وبين انفسهم فلقد وجدنا مثلا الاجابات المشتركة التي قدمها ممثلو المنظمات الثلاث التي كونت الحزب .. لمراسل جريدة الاونيتا (ممثل الحزب الشيوعي الايطالي) .

.. « يتميز الوضع الراهن بالانتصارات الفائقة التي احرزتها الحركة الوطنية ، وللمرة الاولى في تاريخ مصر الحديث نجد حكومة وطنية تدافع عن مصالح الوطن ، ويدعمها تحالف عريض يشمل الطبقة العاملة والبرجوازية الصغيرة ، والبرجوازية الوطنية ، وعلى رأس هذه الجبهة حكومة عبد الناصر » (١)

.. وطالعنا كذلك البيان المشترك الصادر عن المنظمات الثلاث في فبراير ١٩٥٧

.. « يحاول المستعمرون وعملاؤهم ان يذرفوا دموع التماسيح على ما يدعونه من اهدار الحريات في مصر متجاهلين ان الشعب المصري والوطنيين المصريين لم يتمتعوا في يوم من الأيام بالحرية مثلما يتمتعون بها اليوم ، وان هذه الحرية المتاحة للوطنيين تتسع فرصها يوما بعد يوم ، ولن الذين ضاقت حريتهم هم المستعمرون وعملاؤهم من الملاجورين وغلاة الرجعيين » (٢)

.. وفي نفس البيان « ان مصر لتتطلع كذلك الى المسارعة بتكوين الاتحاد القومي كتنظيم لقوى الجبهة الوطنية المتحدة ضد الاستعمار » .

---

(١) الاونيتا — ١٩٥٧/٥/١٤ المرجع السابق .

(٢) منشور معنون « بيان الى الشعب » فبراير ١٩٥٧ عن المرجع السابق .

ويمتد الموقف ليحاول أن يتصور أن ساعة التصادم قد تباعدت ولعلها قد تلاشت ، ويصل الامر بالنشرة الداخلية للحزب الشيوعي المصرى الصادرة في ٢٢ مارس ١٩٥٨ والتي تقدم نتائج اجتماعات اللجنة المركزية الموحدة في اجتماعها الاول (٨ يناير ١٩٥٨) :

.. يصل بها الأمر الى القول « من المستبعد أن تقوم الحكومة بحملة ضد الشيوعيين » .. واذا كان من الضرورى ـ ولو من حيث الشكل ـ لفت أنظار الرفاق الى ضرورة الحذر ، فان اللوم .. كان يجب أن يوجه ـ كما حدث دوما ـ الى ناحية أخرى غير القيادة السياسية للحكم ، واعتاد الشيوعيون جميعا عملية الفصل ـ الغريبة ـ بين الحكم وبين اجهزة الحكم ..

فكل خير يأتي .. هو من الحكم ، وكل خطأ يأتي فان مصدره بالضرورة هو بعض أجهزة الحكم التي تصور عادة وكأنها خارجة عن توجهات الحكم ومتآمرة ضده ..

ولنواصل قراءتنا للنشرة الداخلية فهي بعد أن استبعدت قيام الحكومة بحملة ضد الشيوعيين عادت لتؤكد « ولكن يجب على الرفاق الا يتخلوا عن واجبهم نحو حماية الحزب لان اجهزة الدولة وخصوصا المباحث العامة ، وأجهزة الاستعمار تبذل نشاطا فائقا في التحرى عن كل ما له علاقة بنشاط الحزب وتنظيماته » (٣)

ولا بأس .. واستكمالا للصورة من أن نواصل معا تقليب بعض النشرات الصادرة عن الحزب فور توحده والتي عبرت عن التوجه العام للاتفاق بين الرفاق ..

اتحاد الشعب الجريدة المركزية للحزب تقول .. تحت عنوان « على صبرى مقتنع بضرورة الجبهة مع الشيوعيين » .. « في حديث له مع مجلة آخر ساعة قال السيد على صبرى وزير الدولة لشئون رئاسة الجمهورية والمرشح لرياسة المجلس التنفيذى لاقليم مصر .. بينما كانت الحرب الاهلية بين الكومنتانج والشيوعيين تقطع أوصال الصين ، دقت اليابان ابواب الصين ويومئذ تنبه ماوتسى تونج الى هذه الحقيقة التاريخية الهامة فاصدر بيانه المشهور الذى يدعو فيه الى تعاون كل شيوعى مع الكومنتانج لمواجهة العدوان الياباني ، ويومها انتصرت الصين على محتل دخيل .. ونحن نوافقه تماما وحرفيا على ما قاله ونسأله :

---

(٣) هيئة الحزب ـ النشرة الداخلية للحزب الشيوعى المصرى ـ العدد الاول ـ ٢٢ مارس ١٩٥٨ . مكتوبة بالآلة الكاتبة ومطبوعة بالرونيو ـ (نسخة اصلية).

لماذا لا يخرج من الشيوعيين المخربين الصهيونيين ، ولماذا يخشون من دخول الاتحاد الفوري .. لقد أثبت الشيوعيون المصريون انهم قادرون على الاستفادة من تجارب الماضي ، ويجب أن يثبتوا هنا بحكومتنا الوطنية أنهم قادرون على الاستفادة دوما مثما عبر عن ذلك السيد علي صبري ، (٤)

وتعويقات للخطط .

- أن لجنة نصف الكثير من الاقتصاد .

- أن القصد دوما أن يرجع الى قيادة حكومتنا الرشيدة وليس الى جهاز ما من أجهزة الحكم .

هذا التطور الذي يعيد الوحدة بالشعب وللعمل أسبابه متعددة ..

- أن فترة العدوان الثلاثي بعد انتهاء بدأت مرحلة جديدة . لعلها انطلقت عبر مسارين متناقضين أو متناقضين للشيوعيين وجدوا أن المعركة الوطنية التي خاضتها القوى الوطنية الموحدة قد آن لها أن تحقق ثمارا ، وأن النظام يرفض ليس فقط أن يستحوذ على كامل هذه الثمار ، وانما أن يستخدمها هي مذاتها كأداة لحصار تحركاته في المعركة .

والنظام الذي صعد نجمه محليا وعربيا ودوليا بعد معركة صد العدوان الثلاثي والذي استمتع فيها بتأييد جارف محليا وعربيا وعالميا ، والذي حقق الوحدة مع سوريا وسط تصفيق اعلامي وجماهيري صاخب .. هذا النظام بدأ يستشعر بأنه ليس بحاجة الى مثل هذا التحالف مع الشيوعيين .. بل لعله بدأ يستشعر عبء هذا التحالف دوليا (مع أمريكا) وعربيا (مع البعث والقوميين) ومحليا (مع قوى اليمين)

- أن وحدة الشيوعيين في حزب واحد قد أثارت مخاوف الكثيرين في النظام من خطر ترك العمل لهم أكثر مما يجب .

- أن الشيوعيين بدأوا يستشعرون بعض الضغوط في مجالات العمل الجماهيري .. وبعض الخلاف في عملية الوحدة مع سوريا وبدأت مسألة الديمقراطية تكتسب في أذهانهم وحركتهم الحاحا خاصا ..

ونواصل تجميع الملاحظات ..

---

(٤) اتحاد الشعب - جريدة الحزب الشيوعي المصري - العدد الثاني - ١٩٥٨/٢/٢٧ نشرة بحجم ضعف الفولسكاب مطبوعة بالطبعة على شكل كراس من عشر صفحات (نسخة أصلية) ويلاحظ تطور أدوات الطباعة وفي عمليتي الاختراع والتوضيب .

وقال بعنوان « متى يتعلم بعض المسئولين احترام مشاعر الجماهير ؟ » « أرسلت وزارة التربية والتعليم الى مدرسيها ومدرساتها ونظارها خطابات على السركي تطالبهم فيها بحضور الاحتفالات بنتائج الاستفتاء ، وتهدد بأن أسماء المتغيبين سترسل الى وزارة الداخلية ، علاوة على خصم يومين من مرتباتهم . ولا يمكن أن نتصور اساءة الى الاحتفالات الشعبية أكثر من هذا العمل الذى ارتكبته عناصر بلغت حدا لا يطاق من التخلف والاستخفاف بمشاعر الشعب والجهل بنفسية الجماهير ، ولا شك أن هذا الاجراء وأشباهه ـ مثل ما أذيع من أن وزارة الداخلية ستسجل محاضر للمتغيبين ـ لا شك أن هذا كان له أسوأ الاثر فى نفوس المواطنين وأن هذه الاجراءات هى المسئولة عن تخلف عدد كبير بالفعل عن الذهاب الى صناديق الاستفتاء . أين هذه الاجراءات السمجة المتخلفة من جو الحرية الرحيب الذى جرى فيه الاستفتاء فى الاقليم السورى » (٥)

وفى ذات الصدد نقرأ .. « الشيوعيون ليسوا خطرا على الامن العام » .. « افرجت وزارة الداخلية عن المسجونين الذين قضوا نصف المدة بمناسبة ميلاد الجمهورية العربية المتحدة وانتخاب عبد الناصر رئيسا لها ، ولكنها حرمت المسجونين الشيوعيين من هذا الحق بحجة أنهم خطر على الامن العام .. وقد اثار هذا التصرف استياء الجماهير الوطنية ، ولم تستسغ الافراج عن القتلة واللصوص وحرمان الشيوعيين الشرفاء من هذا الحق .. ان الذين يهددون الامن العام فى مصر الوطنية هم الرجعيون والخونة وعملاء الاستعمار ... والشيوعيون كانوا وما يزالون ، وسيظلون دائما فى مقدمة صفوف الوطنيين ، والرماح المشرعة فى وجه المستعمرين والسند الاكبر للحكم الوطنى » .

وفى مواجهة القرار الجمهورى الصادر بشأن قصر حق الترشيح لعضوية مجالس ادارات النقابات بكافة انواعها على الاعضاء العاملين بالاتحاد القومى ، اصدر المكتب السياسى فى ابريل ١٩٥٨ بيانا يندد بهذا القرار .. وقد ضمن هذا البيان فى شكل عدد خاص من جريدة اتحاد الشعب .. وجاء فيه .. « ان هذا القرار عدوان على الديمقراطية وطعنة لحرية التنظيم النقابى ويتعارض مع الاتفاقية الدولية الخاصة بالحرية النقابية التى وقعتها الحكومة ، كما أن هذا القرار يمثل ضربة للحركة النقابية ذلك انه قد جاء فى وقت تشهد فيه الحركة النقابية بوادر يقظة شاملة » .

---

(٥) المصدر السابق .

٠٠ وأكد البيان أن هذا القرار يحرم النقابات من العدد الوفير من النقابيين المخلصين وانه مقصود به ابعاد الشيوعيين والعناصر التقدمية عموما ، وبذلك ستقع النقابات فى قبضة العناصر الرجعية والمتخلفة والفاسدة والمرتشية ، كما أن القرار ضار بالوحدة الوطنية اذ انه يعنى حرمان جميع الطبقات من حرية التنظيم النقابى السليم ٠٠ بل انه ضار بقضية الوحدة العربية خاصة وأنه جاء فى أعقاب اجراءات تعسفية اتخذت ضد الاحزاب الوطنية فى سوريا ٠٠

٠٠ وأكد البيان أيضا أن هذا القرار ضار بمستوى معيشة الطبقات والفئات الشعبية وأنه جاء فى وقت يتدهور فيه مستوى معيشة الطبقات الشعبية وترتفع فيه أرباح المؤسسات الرأسمالية ٠٠ ثم وجه البيان الدعوة الى جميع المواطنين للاتحاد والمطالبة بالغاء هذا القرار (٦) ٠

وهكذا نقترب زمنيا وفكريا من منطقة الخلاف ليس فقط بين الشيوعيين والحكم ٠٠ وانما بين الشيوعيين انفسهم ٠٠

والحقيقة أن عملية الاسراع بالوحدة قد تجاوزت ، بل تجاهلت خلافات حقيقية ، وعميقة فى الرؤية الى الحكم والى وضعيته الطبقية والى مستقبله ٠ ولقد طمست هذه الخلافات تحت ركام من التهليل المباشر لخطوات كانت بذاتها ايجابية وصاعدة ، كذلك فقد طمست تحت تهويمات واتفاقات لفظية وشكلية تجنبت كل ما قد يثير الخلاف ٠٠

فما أن بدأت بعض المشكلات ٠٠ والتى اتخذت أشكالا متعددة مثل الضغط من جانب الحكم على الشيوعيين ، وتكوين الاتحاد القومى بصورة مخالفة تماما لتوقعاتهم ، ومحاولة ابعاد الشيوعيين عن صفوفه ، ومثل الخلاف التنظيمى داخل صفوف الحزب والتوجسات التى طغت على سطحه ، كل هذا أدى الى رؤية مختلفة لموضوع العلاقة بين الشيوعيين والحكم ٠ وتذكر الشيوعيون خلافاتهم القديمة وصبوها فى قالب جديد ٠٠ فحدتو كانت دوما يمينية (هكذا أكد البعض) والراية و ع٠ف كانت دوما ضد الحكم

---

(٦) ملف القضية (١٤٠) أمن الدولة عابدين اسنة ١٩٦١ ، ٢٨٢ عليا لسنة ١٩٦١ ، المتهم فيها أمام محمود رفاعى وآخرين . محضر اطلاع النيابة على مضبوطات المتهم محمد فؤاد أحمد ابراهيم . ملاحظة خاصة بالاطلاع على العدد الرابع من مجلة اتحاد الشعب ــ عدد خاص ــ مؤرخ ٦ أبريل ١٩٥٨ ــ مطبوع بالمطبعة ومكون من ثمانى صفحات . ومذيل بتوقيع المكتب السياسى للحزب الشيوعى المصرى ــ ابريل ١٩٥٨ ص ٢٤١ من الملف .

الوطني وقد خضعت قليلا تحت وطأة الاحداث واستجابت لموقف التأييد لكنها تعاود التردى فى مهاوى اليسارية (هكذا أكدت حدتو) ٠
وتفجر الخلاف حتى والحزب لم يزل متحدا ٠٠ من الناحية الشكلية على الاقل ٠٠

لكننا وقبل أن نبدأ رحلة الاختلاف نسجل أن بعض كوادر حدتو الاساسية هى التى كانت تعتقد ان خط الحزب يميني فى جوهره ٠٠ وكانت تسوق الحجج على ذلك ٠٠

٠٠ ففى رسالة من « أمين » الى حميدو (محمد شطا) موجهة اليه وهو فى سجن الواحات نقرأ الملاحظات النقدية الاتية على خط للحزب « انخلو الوثيقة المعنونة خط الحزب من اى حديث عن التناقضات الموجودة فى المجتمع المصرى لا يمكن أن يكون وليد الصدفة بل يبدو لنا كتعبير عن اتجاه يميني محدد يتميز فى بعض الجوانب بالتقليل من شأن التناقضات وقد يصل الامر فى بعض الاحيان الى نفى وجودها ٠

واود أن احدد كشيوعى التناقضات الاساسية : هناك اولا التناقض الاساسى بين الذين يملكون والذين لا يملكون ، بين الاستغلاليين والخاضعين لعملية الاستغلال ٠ ومن هذا التناقض الاساسى يتولد منه وضع خاص يتعين رؤيته والاهتمام به والتعامل معه فى كل نشاطاتنا وهو التناقض بين الفئات الحاكمة فى السلطة وبين الفئات الشعبية فالاولى لا تمثل الثانية لكن الصراع بينهما ليس كاملا ، كذلك فان هناك عددا من المصالح المشتركة بين الجانبين ٠٠٠ » ٠

ونواصل مطالعتنا لهذه الرؤية البالغة الرقى ٠٠ والتى تاهت مع الاسف الشديد فى خضم الغوغائية والانفعال القبلى ٠٠

« هذا التناقض يؤدى الى تناقض فى نشاطنا ، فمن جهة نحن نناضل من أجل توثيق علاقاتنا مع السلطة بهدف اقامة حلف دائم معها ، اى تحالف دائم مع البرجوازية الوطنية ، ومن جهة أخرى نحن نناضل من اجل الدفاع عن مصالح الجماهير الشعبية الكادحة المستغلة ٠ هذه الضرورة المزدوجة تؤدى الى تناقض لا بد من تحديده وتحليله من أجل تخطيه ، واذا اغفلنا ذلك فاننا نعرض للخطر حلفنا مع الجماهير الشعبية أو حلفنا مع النظام أو حلفنا مع الاثنين معا ٠ فاذا ما انعزلنا عن الجماهير الكادحة بسبب عدم دفاعنا عنها ونضالنا لتحسين ظروفها (ويدخل فى هذا الاطار نضالنا ضد الراسماليين) فاننا سننكمش ونتحول الى مجموعة من الافراد لا تتمتع بأية قوة حقيقية ، وحينئذ لن يحتاج النظام

حاجة فعلية للتحالف معنا . ومن جهة اخرى فاننا اذا اقمنا باضعاف النظام الحاكم كان هذا مخاطر اكبرى فى مجرى النضال العام .. » .

ثم .. « ويؤدى هذا التناقض الى تناقض جديد ، فالنظام نفسه له وجهان : وجه ايجابى تماما يتخطى حتى آمالنا وأحلامنا .. (مثل السياسة الخارجية وبعض أوجه السياسة الاقتصادية) الا أنه لا يمكن انكار الوجه الاخر للنظام . فحتى فى السياسة الخارجية نجد أن هناك نوعا من المداعبة والتقارب مع الغرب ومع الولايات المتحدة ومع المانيا الاتحادية وايطاليا .. وعلى الصعيد الداخلى هناك الغاء لابسط الحريات الاساسية » .

واواصل استعراض هذه الرسالة الوحية والمليئة بالملاحظات الجديرة بالاهتمام .. وهى اذ تحدد عددا من التناقضات التى اغفلها خط الحزب فى غمرة الحماس التوحيدى والتاييدى للحكم .. فانها تتقدم خطوة حاسمة وتضع يدها على الجرح الحقيقى « .. أخيرا هناك تناقض خاص بالشريحة العليا لكوادر الحزب .. فبعض اعضاء هذه الشريحة يعيش فى اطار النظام ، وهو يعيش بطريقة ميسورة واحيانا مترفة ، وعلى اية حال فان مستوى معيشتهم لا يختلف عن مستوى معيشة البرجوازية . وهؤلاء لهم بطبيعة الحال صلات وثيقة مع العناصر البرجوازية ومع الشريحة الموجودة فى السلطة ، وأحيانا حتى مع عناصر من المجموعة القيادية الحاكمة ، وبذلك فهم يتمتعون بسمعة جيدة لدى النظام ويستنجد بهم النظام فى بعض الاحيان ، ويثق فيهم ، ويمنحهم مناصب هامة . بينما هناك فى الطرف الاخر شريحة اخرى من الكادر القيادى يعيشون بدون أى دخل يذكر ، وهم فقراء حقا ، ومستوى معيشتهم لا يختلف عن مستوى معيشة الجماهير الشعبية فى بلادنا ، وهؤلاء وان كانوا يتمتعون بثقة الجماهير الا أنهم لا يتمتعون بسمعة جيدة لدى النظام وكثيرا ما تطاردهم أجهزة الامن وتقوم بمراقبتهم ، والعديد منهم لم يزل بالسجون .. ومن الطبيعى أن يعكس هذا التناقض الاخير كل التناقضات السابقة ، وبالتالى فاننا نجد البعض يتبنى وجهة نظر الحكام نجد الاخرين يتبنون وجهة نظر الفقراء » .

.. وتؤكد الرسالة اخيرا انه برغم ذلك فان خطر الانحراف اليسارى هو الاكثر الحاحا والاكثر اقترابا فى المرحلة الراهنة (٧)

---

(٧) رسالة من امين الى حميدو . مكتوبة بالآلة الكاتبة من ثلاث صفحات فولسكاب مكتوب اعلاها بالقلم الرصاص تاريخ (١٩٥٨) .. والوثيقة معنونة « حول التناقضات التى يجب ان نطرحها وان نحلها » نسخة مصورة فتلا صورة مودعة فى ارشيف حدتو المودع لدى جماعة اصدقاء هنرى كورييل بباريس .

٠٠ ونتوقف أمام هذه الرؤية الصافية لنلاحظ :

ـ ان الكـاتب وهو أحـد كوادر حدتو يعتبر أن التيار الاخر يميني ٠ ويلتقط الخيط الطبقي من بين الركـام ويعلى من قـدره ٠

ويقودنا هذا الى الملاحظة الاكثر أهمية وهى أن التيار الصحيح كان موجودا فى كـلا الجـانبين بقـدر قـد يزيـد لدى هذا الطرف عن ذاك لكنه كان موجودا على أية حال ٠٠

وان حدتو برغم أن غالبية كوادرها كانت تتخذ موقفا صحيحا وراقيا الا أن البعض كان فعليـا يتخذ موقفـا ذيليـا للسلطة ، ولسوف نكتشف ذلك فى اطـار الصفحات القـادمة ٠٠ كمـا أننـا سنكتشف أن الطـرف الاخر (الراية و ع٠ف) لم يكونا متوافقين ، وان تظاهرا بعكس ذلك ، وان التوجهـات اليسارية التى سادت موقفهمـا كانت تخفى خلف عمليـة التعميم المتعمدة بعض التوجهـات الصحيحة وايضـا بعض التوجهـات اليمينية ، وكذلك نزعة يسارية طفولية لدى البعض الاخر ٠

وبرغم هذا التعقيـد فى المواقف فان الروح القبلية ٠ واسـتعجال الوحـدة ثم استعجال الانقسام قـد أدت جميعـا الى طمس معالم الخـلاف بين أصحاب التيار الواحـد ٠٠ ونسى أفراده خلافاتهم التى بدت وكأنهـا صغيرة بالرغم من أهميتها ، وثانوية بالرغم من كونها حاسمة ٠٠ وتمترسوا خلف معسكرين :

حدتو ثم تحالف الراية و ع٠ف

ولقـد تم تداول اسماء عديدة لهذين المعسكرين ٠

فرفاق حدتو اسموا انفسهم الحزب الشـيوعى المصرى ـ حـدتو ٠ واسموا الاخرين التكتـل ٠

والرفاق الاخرين اسموا حدتو « الانقسام » ٠ واسـموا أنفسـهم الحزب الشيوعى المصرى ٠

ولاننـا لا نريد أن نجعل من أنفسنا طرفـا فى هذه التسميات نسوف نختـار ـ (ليس على سبيل التقـرير أو الانحيـاز وانمـا على سـبيل الاختصار) اسمى جماعة حدتو وجماعة الحزب ٠

٠٠ ولتـابع بعـد ذلك بعض اوجه هذا الخلاف ٠

وكعادتنا سننسج معـا رؤيتنـا خيطا خيطا ٠٠

يقول محمود امين العالم « كان الحزب يتنازعه تيـاران تختلف نظرتها

الى ثورة يوليو الاول يعتبرها برجوازية كبيرة أقرب الى الاستعمار ، ويغلب الصراع الديمقراطي على الوطني ، والاخر يعتبرها برجوازية وطنية صغيرة ، ويغلب الصراع الوطني على الديمقراطي » (٨)

ويقول محمد الجندي : « ٠٠ منذ البداية ظهرت خلافات سياسية وتنظيمية ، اما أهم الخلافات السياسية فهي أن الموحد كان يرى تغليب صيغة التحالف على ابراز الخلافات الثانوية مع نظام عبد الناصر وبالتالي كان له مواقف محددة من عدة قضايا ٠٠

فمثلا كان موقف الموحد من الاتحاد القومي هو ضرورة دخوله والعمل على تحويله الى جبهة وطنية ، كما كان يرى عدم ابراز القضايا الاقتصادية والاجتماعية وتغليب قضية الوحدة الوطنية ، ومحاولة حل الخلافات في أطار الوحدة الوطنية وفي عملية المواجهة مع الاستعمار ٠٠ ولكن الراية و ع٠ف توحدا معا سياسيا وتنظيميا وتحالفا ضد الموحد وكان يقولان أن الاتحاد القومي هو حزب البورجوازية ويتعين مقاطعته ٠٠ وتراكمت الخلافات ومثلا عندما كان عبد الناصر عائدا من زيارته لموسكو تجمع بعض الاشخاص من ع٠ف أساسا عند المطار وهم يهتفون « جعانين ـ جعانين » (٩)

ويقول فخري لبيب : « كان هناك خطين في داخل ل٠م حول الموقف السياسي ، خط يرى الوحدة والصراع مع البرجوازية ٠ وخط اتجاهه العام هو التاكيد بشكل مطلق على التأييد (حدتو) ٠ وهكذا تفجر الخلاف حول القضايا المختلفة ، ولم يعد الخط العام الاستراتيجي الذي تم الاتفاق عليه خلال عملية التوحيد كافيا ٠٠ وبدأت القضايا اليومية تفرض نفسها فرضا محدثة خلافات يومية ٠

وبرغم أن المعركة كانت في جوهرها معركة سياسية الا أنها عولجت علاجا تنظيميا »(١٠)

ونلاحظ أن رفاق حدتو لم يكونوا موحدي الرأي حتى حول أوليات الموقف ٠٠ فبرغم اتفاقهم العام فان أية معالجة ايديولوجية لموضوع ثورة يوليو ٠٠ كانت تثير من الخلاف أكثر مما تثير من الاتفاق ٠٠

فبينما كان الرفيق ناشد (زكي مراد) يرى ٠٠ « أن ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، هي احدى حلقات الثورة الوطنية الديمقراطية المصرية المتجهة الى

---

(٨) أحمد هروش ـ شهود يوليو ـ المرجع السابق ص ٤٥٦ .

(٩) الجندي ـ المرجع السابق .

(١٠) لبيب ـ المرجع السابق .

الديمقراطية الشعبية ، ولكن لا يمكن اعتبارها ثورة وطنية ديمقراطية كاملة بمعناها العلمي ·· ذلك أن التحقق الكامل للثورة الوطنية الديمقراطية لن يتم الا اذا قادت الطبقة العاملة وعلى رأسها حزبها جبهة وطنية ديمقراطية تكون بذاتها الاساس لتحالف العمال والفلاحين وتضم كافة القوى الوطنية بما فيها الحكومة الوطنية »(١١)

·· وبينما كان ناشد يرى أيضا ·· « ان حركة الضباط الاحرار التي تكونت الحكومة من قادتها هي احدى الهيئات السياسية لقسم من اقسام البرجوازية الوطنية في مصر وهي بالتحديد تعبر عن مصالح الضباط المتوسطين والصغار للكفاح في مجال معين ضد سيطرة الاستعمار والسراى » (١٢)

فاننا نرى أن حميدو (محمد شطا) وكان أيضا أحد قادة حدتو يكتب تقريرا يقول فيه « ان النظام يمثل من جهة البرجوازية المتوسطة ، ومن جهة أخرى البرجوازية الكبيرة التي لم تدخل في مساومات وتنازلات مع الامبريالية » (١٣)

ونجد أن يونس يرفض الفكرة التي يطرحها حميدو قائلا « يسيطر على هذا النظام ضباط من الصفوف الوسطى ، أي منتمين الى البرجوازية المتوسطة ، الا أن هناك ملاحظة غاية في الاهمية ستمكننا من تفسير عدد من خصائص هذا النظام وهي أن النظام نابع من فئة معينة في البرجوازية المتوسطة ، وهي فئة ضباط الجيش ·· وهذا يفسر بعض التناقضات الموجودة بينها وبين شرائح أخرى من البرجوازية المتوسطة · وقد يقوم النظام بقمع بعض ممثلي هذه الشرائح ·· محامين ·· ، صحفيين ·· الخ · ولعل هذا يفسر لنا بعض خصائص النظام ومنها ميله الى التسلط والسيطرة · الا أن النظام بطبيعة الحال يمثل بصفة عامة مصالح

---

(١١) ملف القضية رقم ٨ عسكرية عليا لسنة ١٩٥٩ ــ الملاحظة رقم ٢ بمحضر اطلاع النيابة على المضبوطات .

(١٢) الكادر ــ النشرة الداخلية للحزب الشيوعي المصري الموحد ــ السنة الثالثة ــ مايو ١٩٥٧ ــ والنشرة مكتوبة بالآلة الكاتبة ومطبوعة بالرونيو من اربعة عشر صفحة نصف فولسكاب تتضمن باكملها موضوعا واحد معنونا «حول الطبيعة الطبقية لحكومة الضباط بقلم الرفيق ناشد ــ ومثبت على الغلاف العبارة التالية ــ كتب هذا التقرير في شهر يوليو ١٩٥٦ » ــ (نسخة أصلية) .

(١٣) من حميدو الى يونس رسالة موجهة من سجن الواحات الخارجة كتبها محمد شطا ووجهها الى هنري كورييل في باريس . مودعة في ارشيف حدتو لدى جماعة أصدقاء هنري كورييل بباريس .

أوسع من مصالح تلك الشريحة التي نشأ منها ، برغم تمتع هذه الشريحة بامتيازات خاصة » ٠

٠٠أما عن العلاقة مع البرجوازية الكبيرة فلا يمكن وصفها بانها علاقة تمثيل ، وانما هناك بعض الارتباط ٠٠ فمنذ وصول البرجوازية المتوسطة الى السلطة ، والبرجوازية الكبيرة تحاول جاهدة الارتباط بها سواء عن طريق الحصول على بعض الوظائف الكبيرة أو من خلال بعض الزيجات المتبادلة مما يسهل الى حد ما وجود روابط ٠٠ لكنها مجرد روابط وليس تمثيل » (١٤)

٠٠ هذا بينما يعلم الكافة ان الرفيق خليل (كمال عبد الحليم) كان يمتلك رؤيته الخاصة والتى سنراها وقد تمثلت فيما بعد فى الخط الذى انتهجته مجلة الغد ٠٠ ومجموعة الكتاب والفنانين الذين كانوا يعملون تحت مسئوليته المباشرة وهو خط كان يوصف من قبل حتى الكثيرين من رفاق حدتو بانه خط يمينى ، ولا يرى فى مجمل خطوط العلاقة مع عبد الناصر سوى خط التاييد الكامل والمستمر ٠

٠٠ كانت حدتو اذن تذخر باكثر من موقف ٠٠ وباكثر من رأى ، ولعلنا نلاحظ افكارا تتسم بالوعى والرقى والذكاء وان كانت تحتاج الى بعض النضج ، ولعل الحوار المتأنى والمثمر كان بامكانه أن ينتج فهما متماسكا واكثر رقيا ٠٠ لكن كل شىء قد توقف عند حدود الخلاف مع الاخرين ٠٠ وتحصن كل فريق فى خندقه وبرزت الخلافات بين « الطائفتين » لتنسى الجميع خلافاتهم بين بعضهم البعض ، أى الخلاف بين « الأشقاء » ٠

٠٠ وهكذا كان الامر ايضا على الضفة الاخرى ٠٠

ولعلنا لا نمتلك وثائق مكتوبة تبرز وجهات نظر مختلفة لكننا نمتلك شهادة لأحد المشاركين ٠٠ يقول فخرى لبيب : « أود أن اشير الى أن اليمين الحقيقى لم يكن ممثلوا حدتو ، وانما كان ممثلى الراية ـ الذين رفعوا خط ثبات وطنية البرجوازية اى أنه قد حكم عليها بالوطنية ٠٠ صحيح إن بعض ممثلى حدتو كانوا يمينيين لكن المنظرين الحقيقيين لليمين كانوا رفاق الراية ٠٠ ومن ثم فان اى مناقشة سياسية متانية داخل الحزب كانت ستجر اليها رفاق الراية وستضعهم فى المواجهة بدلا

---

(١٤) من يونس الى حميدو رسالة مؤرخة فى ١٩٥٨/١/٢٨ من خمس صفحات فولسكاب بالآلة الكاتبة تبدأ بعبارة خطاب رقم ٦ الى حميدو ـ مرسل عن طريق هوليس ـ وهى رد على الرسالة السابقة ومودع صورة منها فى أرشيف حدتو لدى جماعة اصدقاء هنرى كوريل بباريس ٠

من حدتو أو مع حدتو ، ولهذا السبب فقد تم البحث عن مخالفات تنظيمية والتشبث بالتحاسب عليها ·· ولا شك عندى أن ع·ف كانت تدرك أن حدتو ليست هى اليمين ، وان اليمين الحقيقى هو الراية لكن ع·ف كانت تعرف أن الخطر الحقيقى بالنسبة لها هو عدوها التاريخى المتمثل فى حدتو ·· وهكذا بحث الطرفان (الراية و ع·ف) ، وعن عمد عن حل تنظيمى متعجل ومتخذ للسمات الانقسامية وذلك لستر حقيقة الخلافات السياسية »(١٥) ·

·· اللوحة الان أكثر تعقيدا ·

لكنها كانت كذلك فى الحقيقة · وبهذا فهى أكثر صدقا ·

واذا كان استخدام الادوات التنظيمية سبيلا لحل خلافات سياسية هو بذاته خطأ ·· واذا كان قد أدى فى نهاية الامر الى الانقسام ، والى تدمير وحدة عاش الشيوعيون حلمها لامد طويل ·· فان أخطر ما ترتب على هذا الاستخدام المتعمد للأغلبية التنظيمية والاجراءات التنظيمية يكمن فى أنه قد أجهض ممكنات الحوار الفكرى سواء بين الطرفين المتصارعين ·· أو فى داخل كل طرف على حدة ··

* * *

والآن سنحاول أن نبلور بعض المواقف ··

وسوف نعتمد على وثيقتين تواجهان بعضهما البعض ··

تقرير فاروق ـ عاكف ـ أحمد ـ خليل ·· وهو التقرير الذى أشرنا اليه فى صفحات سابقة والذى يمثل بشكل عام التوجه الذى فرض نفسه على رفاق حدتو برغم ما بينهم من خلاف ·

وتقرير للمكتب السياسى حول الاتحاد القومى ·· وهو تقرير صادر باسم المكتب السياسى للحزب ، ولعله قد صدر باسم الجميع ·· فقد صدر فى سبتمبر ١٩٥٨ · أى فى تلك الفترة التى كان فيها أربعة من رفاق الموحد قد انسحبوا من المكتب السياسى ·· وبقى الاخرون بما فيهم بعض قيادات حدتو مثل مبارك عبده فضل ومحمد يوسف الجندى ومحمد على عامر ولكنه يمكن القول بأنه يمثل وجهة النظر الرسمية على الاقل للمجموعة الاخرى ·

يقول الرفاق الاربعة (حدتو) :

·· « هؤلاء الذين وقفوا فى وجه الثورة منذ قيامها ، يطلقونها بأنها

---

(١٥) لبيب ـ المرجع السابق .

فاشية ، غيروا موقفهم هذا بعد جرائم سنوات خمس دون أن ينقدوا أنفسهم نقدا جديا ، أو يعترفوا بأخطائهم أمام الجماهير ، هؤلاء هم الذين يحاولون دائما العودة بالحزب الى سياسة العداء للحكم الوطنى ، سياسة تغليب جوانب الصراع على جوانب التحالف • سياسة التشكيك فى أنه يتهادن مع الاستعمار وانه يقف مواقف التحالف والتعاون مع معسكر الاشتراكية ليضغط على الاستعمار ويتفاهم معه من جديد •

انها الرغبة المستمرة والاصرار على جر الحزب من جديد الى سياسة يسارية مخربة مصفية للحزب » •

ويرتكب الرفاق الاربعة الخطأ الاكبر اذ ينقلون الى الخارج ما دار داخل اجتماعات المكتب السياسى فينقلون تصريحات أو تعليقات قيلت داخل الاجتماعات المغلقة ، ليستخدمونها فى صراع سياسى مفتوح ويبدو حجم الخطأ اذا ما لاحظنا انه اقترن بذكر الاسماء الحركية (وكانت معلومة للجميع) واذا ما كانت التصريحات متعلقة بالحكم •

•• « الرفيق خالد قال فى المكتب السياسى ان المعسكر الاشتراكى كان قلقا على الأوضاع فى مصر ، وأن الاتحاد السوفيتى لم يسارع الى الاتفاق على القرض بل انه » شخلع » عبد الحكيم عامر وقال له لماذا تريد هذا القرض •• » •

ثم •• « وبالطبع توقع الرفيق خالد كثيرا من الحريات متوصية من الاتحاد السوفييتى وهو ما لا تقوله الا أخبار اليوم ، •• ان تعديم قصية شيوعية قديمة كانت مركونة ، الى المحاكم اعتبرت فى نظرهم بدءا لحملة جديدة عاتية ، وسفر عبد الناصر الى موسكو كان للضغط على الاستعمار الأمريكى •• ان كل هذا لا يبدو فى مطبوعات الحزب سافرا ، ولكنه يقال فى اجتماعات المكتب السياسى » •

ثم يتحدث الرفاق الاربعة عن رؤيتهم لاسلوب المعارضة فيقولون : « واذا كنا نعارض القرار الجمهورى رقم ٨ (القرار الخاص بقصر الترشيح لعضوية مجالس ادارة النقابات على الاعضاء العاملين بالاتحاد القومى) الا أننا لا نصل بمعارضتنا له الى ما يهدم تحالفنا مع الحكم الوطنى أو ما يلغى من واجباتنا الايجابية ازاء انتصاراتنا ، وازاء اعمالنا المجيدة •• اننا لا نستقبل جمال عند عودته الظافرة من بلاد تفود المعسكر الاشتراكى •• لنقذف فى وجهه بمنشورات تطالب بالغاء القرار الجمهورى رقم ٨ » •

ثم •• « ان المظهر الاساسى لليسارية فى حزبنا هو العودة وفى كل مناسبة الى التشكيك فى وطنية الحكم فى مصر ، وتغليب التناقض الثانوى

على التناقض الاساسى ، والعودة بذلك وفى التطبيق الى سياسة معـادية للحكم الوطنى . وهكذا تواصل الانتهازية دورها التاريخى فى ضرب الحركة الوطنية وضرب الجبهة » .

.. ثم يحـدد الرفاق الاربعة موقفهم من الاتحاد القومى قائلين .. « ان قمة أشكال الانعزال اليسارى الان هى الموقف من الاتحاد القومى . فقـد انتهى التحليل القلق المتناقض الذى أصدره المكتب السياسى باغلبية خالد وعباس ورفاقهما .. الى انه حزب البرجوازية .. وانتهوا الى مقاطعة الاتحاد القومى .. ثم بعـد ذلك يقولون انهم سيتحالفون معه عندما يتكون حزبا للبرجوازية » .

ثم « .. ان الاتحاد القومى هو أوسع أشكال التحالف فى التطبيق ، فى تاريخ هذه الثورة ، وهو تحالف فى المجـال الوطنى والسياسى والاجتماعى والثقـافى ، والمناداة بمقاطعته ، وعدم دعوة الجماهير الى الانضمام اليه ، هى امتداد لسياسة محاربة الحكم الوطنى وامتداد لسياسة الانعزال التى أجـادها قادة الانتهـازية اليسـارية . ولقـد اثبتت التجـربة الخصـبة لكفـاح كادر الحزب ، ان الاتحاد القومى انفتحت أبوابه بل واتسـعت المراكز القيادية فيه لبعض الشيوعيين ، بل وثبت أن الذين يحاربون الاتحاد القومى ويعملون على وأده هم الاقطاعيون وأعوان الاستعمار الذين يحرضون على استبعاد الشيوعيين منه . ان الاتحـاد القومى مفتوح للعمال والفلاحين والمثقفين وسـائر الفئات الوطنية باعتبارهم مواطنين ، وباعتبـاره شكلا جديدا من أشكال التحالف بين القوى الوطنية » (١٦)

ونتوقف عند عبارة « باعتبارهم مواطنين » ونسأل عما اذا كـانت تعنى الرضا بالانضمام كأفراد ... أى كمـواطنين دون التشبث بفكـرة الدخول كحزب أو حتى كتيار أو كممثلين لتيار ؟

مجرد سؤال .

واستكمالا لوجهة النظر هذه نقـدم فقرات من تقرير معنون « موقفنا من الاتحـاد القومى » .. أصدره رفاق حدتو بالاسـكندرية بعـد وقـوع الانقسام وعندما بدأوا فى اصدار نشرات مستقلة .

« الشىء الملاحظ فى مدينة الاسكندرية أن الرفاق لا يهتمون بتنظيمات الاتحـاد القومى وغير متحمسين للاشتراك فيه ... » ثم يمضى للتقـرير

---

(١٦) تقرير معنون « حقائق الأزمة التى تعرض لها حزبنا والتى تهـدد بتصفيته تصفية كاملة » المرجع السـابق . ص ١٥ وما بعـدها .

صعدا أسباب عدم الاهتمام هذه ويقول ، والسبب الاخطر هو تشتى المفاهيم اليسارية المتخلفة عن الانحراف اليسارى الذى يحمله التكتل والذى ساد بعض الوقت فى حزبنا ، والذى يهدف الى عزلنا عن الاتحاد القومى وابعادنا عن الاشتراك فيه بحجة أن الاتحاد القومى هو حزب البرجوازية الذى نعمل على تأسيسه ، ولا يجوز للشيوعيين الدخول فيه وتدعيمه . وان عد ذلك خيانة للطبقة العاملة ومثيرها المستقل .. ويسبب قليل من دراسة المفاهيم اليسارية .. اننا متفقون أن الحكومة الحالية حكومة برجوازية وطنية ، وأن البرجوازية الوطنية حليفة للطبقة العاملة .. واننا جميعا نكافح العدو الاساسى وهو الاستعمار ومتفقين على أن البرجوازية الوطنية تناضل الآن من أجل السلام وحماية استقلال الوطن والعمل على توحيد الأمة العربية ... ونحن فى ذلك متفقين معها ونعمل على تأييدها ومساعدتها وتطورها وحمايتها ، ومختلفين معها فى بعض الوسائل والطرق ومختلفين معها فى الغاية وهى تحقيق الاشتراكية بالشيوعية ، ولكننا نضع فى الاعتبار أن المعركة الاساسية الان هى ضد الاستعمار .. لذلك فمن المستلزمات الاولى ايجاد تنظيم يوحد كل القوى الوطنية وكل الطبقات بصرف النظر عمن يكون له السيادة فى هذا التنظيم طالما يكون لهذا التنظيم برنامج محدد ملزم لكل القوى الداخلة فيه .. ولا مانع أن تنظيم الاتحاد القومى يفى بكل هذه الاغراض . ان برنامجهم يفى ويخدم أهداف هذه المرحلة ، ويتمشى تماما مع أهدافنا ، وبرنامجنا لا يتعارض معه » (١٧)

ويبقى التقرير متسائلا « هل يكون شعارنا لتنظيم الوحدة الوطنية طالما نحن الشيوعيون لسنا فى القيادة وطالما لم تتعرف بنا البرجوازية بعد ؟ أم يكون شعارنا لتتحد كل القوى الوطنية بصرف النظر عمن يكون فى القيادة فى هذه الظروف ؟ ان اليساريين الخطيرين ينادون بدون تحفظ لوحدة وطنية بدون جبهة تعارف فيها البرجوازية الوطنية بقيادتها للطبقة العاملة ، وتتوسل الينا لمباركتها فى قيادة الاتحاد القومى حتى يرضى غرور اليساريين الخطرين . اما الشيوعيين الحقيقيين ، قادة الطبقة العاملة بحق ، فانهم ينادون بالوحدة الوطنية واتحاد كل الطبقات الوطنية فى تنظيم شامل على اساس برنامج يتمشى مع احتياجات الشعب الآن بصرف النظر عمن هى الطبقة القائدة ، وبغض النظر عن اعتراف هذه الطبقة بقيادتها وبحزبها

---

(١٧) نتائج استظهار الطب الشرعى لاوراق استنسل مكتوبة وغير مطبوعة ضبطت لدى المتهم محمد عبد اللاتى بعنوان « الوعى » نشرة داخلية لمحافظة الاسكندرية ـ محضر اطلاع النيابة على المضبوطات ـ ملف القضية رقم ٩ عسكرية عليا ١٩٥٩ ص ١١٢٩ .

الشيوعي ، فالجبهة أساسا هي جبهة طبقات ·· فتوحد من أسفل ثم تنمو فتوحد ما بين قيادات هذه الطبقات ·· ان الجبهة تنمو من أسفل الي أعلى ·· وصالح الطبقة العاملة وحزبها الشيوعي هو في الدخول في تنظيم الاتحاد القومي على اساس برنامج الاتحاد ، ثم على اساس ان كل حلفاء الطبقة العاملة منضمين فيه وخاصة الفلاحين والبرجوازيين الوطنيين وان مصلحتها هي في وحدتها مع حلفائها اولا للقضاء على الاستعمار العدو الاساسي ، وان مصلحتها هي في الدخول في الاتحاد القومي حتى تقنع كل حلفائها عمليا ، وشيئا فشيئا بصلاحيتها للقيادة ، ومن خلال العمل ، والعمل وحده ستعترف الطبقات الحليفة بقيادة الطبقة العاملة وحزبها الشيوعي ·· »

·· « ولا شك في ان تنظيم الاتحاد القومي ليس تنظيما للجبهة من كل الطبقات وبشكل كامل ·· ولكن برنامج وتنظيم الاتحاد القومي يمد هذا ادنى به صلاحيات وامكانيات ضخمة لتطويره من الداخل لكي يصبح جبهة شاملة من كل الطبقات ، ولكن هذا الهدف لا يمكن ان يتحقق الا اذا دخلت فيه الطبقة العاملة واساسها المتين حزبها الشيوعي ، لكي يعمل على تنميته وتحويله الى جبهة وطنية كاملة ·· اما الطريق الآخر ، طريق اليسارية المخربة التي تنادى اما بجبهة كاملة تعترف فيها البرجوازية بنا ، وتعطينا القيادة فيها على صينية من ذهب ، واما بحرب على الوحدة الوطنية وعمل لعزل الطبقة العاملة عن حلفائها وتفتيت الوحدة الوطنية بالدخول في صراع ضد البرجوازية الوطنية لا يستفيد منه الا الاستعمار ·· فهو طريق مرفوض » ·

وبعد ان يدعو التقرير الرفاق للمبادرة بالانضمام الى الاتحاد القومي فانه يشير الى صعاب عديدة والى قوى تريد ابعاد الشيوعيين ويقول « ايها الرفاق لا شك أن الصعاب التي نواجهها في الاتحاد القومي راجعة الى أن السيطرة الآن لعناصر من البرجوازية ، وهذه العناصر منها أجزاء رجعية ، ومنها أجزاء لا خبرة لها ، وفي طابعها للطبقي حب السيطرة والفردية والجهل بقدرات الجماهير · فواجبنا هو ان نعمل ونكافح حتى نتمكن من تغيير هذه الظواهر · ومن خلال العمل ومن خلال الكفاح بين الجماهير ستتضح صحة افكار وحلول للطبقة العاملة ·· » ·

·· ثم نأتي الى الراي الآخر ·· الى التقرير المعنون « حول الاتحاد القومي ـ رد على السيد انور السادات » والتقرير موقع باسم المكتب السياسي للحزب الشيوعي المصري ومؤرخ في ١٩ سبتمبر ١٩٥٨ ·· ونلاحظ قبل أن نستعرض هذا التقرير شيئين :

الأول : ان انور السادات قد استقبل محمود امين العالم ممثلا للمكتب

السياسى للحزب الشيوعى المصرى ودعاه الى حل الحزب والانضمام كافراد الى الاتحاد القومى .

والثانى : ان هذا التقرير يمثل كما قال الرفاق الاربعة الاغلبية التى صنعها تحالف رفاق الراية ، ع.ف فى المكتب السياسى للحزب .

.. ولنطالع رأى هؤلاء الرفاق :

« كنا نتوقع ان تجىء تصريحات السيد انور السادات السكرتير العام للاتحاد القومى للصحف لتبدد كثيرا من التساؤل لدى الاغلبية الساحقة من جماهير الشعب والمثقفين حول الاتحاد القومى ، ما هو ، وما اهدافه ، وما تكوينه ، وما علاقته بالاحزاب السياسية حاليا ومستقبلا . غير ان تصريحات السيد انور السادات لم تضف فى هذا الشأن جديدا .. فهو حتى الآن حريص على التأكيد بان الاتحاد القومى ليس حزبا ، ولا نظاما للحزب الواحد ، ولا جبهة وطنية ، ولا هيئة تحرير اخرى ، ولا جهازا حكوميا . ولابد بعد هذه التأكيدات ان يتساءل الوطنيون بالحاح : واذن فماذا يمكن ان يكون هذا الاتحاد القومى ؟ » .

ثم يشير التقرير الى الهجوم المستتر على الشيوعيين الذى شنه السادات مهاجما « ذوى الافكار المعينة » ويرد على هذا الهجوم قائلا « ان القضية الاساسية التى تختفى وراء تلك الحملة هى قضية الفشل فى تكوين الاتحاد القومى ، قضية انفضاض الجماهير الشعبية عن دخول الاتحاد القومى . ولا يملك السيد انور السادات الا ان يعترف ضمنا بهذا الفشل الواقع ، ومع ذلك فهو لا يريد ان يعترف بالسبب الحقيقى لفشل الاتحاد القومى الا وهو فرض الاتحاد القومى على الشعب ، مع حرمان الشعب من تكوين احزابه . ان السيد السادات لا يريد ان يواجه قضية الشعب الاساسية التى يثيرها الاتحاد القومى وهى قضية الديمقراطية ، غير انه يكتفى بالتلميح الى ان الشيوعيين هم وراء فشل الاتحاد القومى بسبب نظرتهم الجامدة عن الديمقراطية التى لا تتحقق عندهم على حد قوله الا بوجود احزاب .. » .

.. « ان السيد السادات يرفض وجود الجبهة الوطنية كما يرفض وجود الاحزاب وهى الاساس الذى يمكن ان يقوم عليه اتحاد قومى راسخ البنيان . ولما لم تكن هناك احزاب الى جانب الاتحاد القومى سوى الحزب الشيوعى فليس لنظرية السيد انور السادات سوى معنى بديهى وهو رفض دخول الشيوعيين فى الاتحاد القومى » .

ثم يمضى التقرير .. « وهكذا يحسن ان نؤكد جميعا حقيقة تعدد الطبقات فى مصر ، وحقيقة قيام الصراع الطبقى فيما بينها ، وليس الصراع الطبقى من اختراع الشيوعيين وانما هو حقيقة موضوعية فى المجتمعات

ما بقي فيها تحدد الطبقات ·· ان الغاء الصراع الطبقي لا يكون الا بالغاء الطبقات ذاتها ·· ولن يتحقق ذلك الا عن طريق الاشتراكية وهذا بالضبط ما يكافح الشيوعيون من اجله »(١٨) ·

·· « لقد اتخذت الطبقات في مصر احزابا لها في الماضي · كما ظهر الحزب الشيوعي الذي يمثل احدث الطبقات الاجتماعية وهي الطبقة العاملة وجمهرة الكادحين · فالطبقة العاملة المنظمة في المصانع طبقة لها مصالحها المتميزة ، ولقد ناضلت منذ نهاية القرن الماضي فاحسنت النضال من اجل مصالحها الخاصة ومصالح الوطن كله ، وهي اليوم طبقة واعية حسنة التنظيم لا ينكر احد وجودها ولا يجهل احد نضالها · ولقد وجد حزب الطبقة العاملة على الرغم من جميع العقبات ··· وفي ظروف بلادنا التي يجب ان تتحد لمواجهة العدو الواحد لا يمكن ان يكون وجود الحزب الشيوعي ونجاحه في تمثيل طبقته ونضاله لتوحيد صفوفها مصدرا لاستياء احد من الوطنيين » ·

ثم ·· « فالواقع الذي لا شك فيه ان الاتحاد القومي لا يتنافى مع الحزبية بل انه يقوم اساسا على فكرة الحزبية وهو نفسه حزب من الاحزاب · ان الاتحاد القومي حين يرفض ان يكون جبهة وطنية ، وحين يرفض ان يمثل اكثر من اتجاه واحد ، فانه يمثل عندئذ اتجاها واحدا هو اتجاه الراسمالية الوطنية ··· وهكذا وباسم الوحدة الوطنية ، وباسم الدعوة لنبذ الحزبية ، تسارع طبقة واحدة هي طبقة الراسماليين الوطنيين بتكوين حزبها ، وحظر تكوين الاحزاب الاخرى ، وفرض حزبها الواحد على الطبقات الوطنية جميعا » ·

·· وايضا « لقد اصبح الاتحاد القومي بتكوينه الحالي وبمواقفه الراهنة خطرا على الوحدة الوطنية · فالاتحاد القومي بتكوينه غير الديمقراطي ، وبرفضه ان يكون جبهة وطنية ، وباصراره على ان يكون حزبا فوق كل الاحزاب ، بل حزبا فوق الجبهة الوطنية ، وبسيطرته المفروضة على التنظيمات الجماهيرية النقابية والسياسية ، وبتعاونه للوثيق مع المباحث العامة ورجال الادارة قد تحول بذلك الى سلاح ضد الجماهير الشعبية يحاربها في حريتها وفي ارزاقها ، ولا يمكن بالتالي ان يكون ساحة الوطنية التي تضم الوطنيين جميعا »(١٩) ·

---

(١٨) حول الاتحاد القومي ـ رد على السيد انور السادات ـ كتيب مطبوع بالمطبعة من عشرين صفحة من القطع الصغير موقع المكتب السياسي للحزب الشيوعي المصري مؤرخ ١٩ سبتمبر ١٩٥٨ ـ (نسخة اصلية) . ص ٥ .

(١٩) المرجع السابق ص ١٧ .

.. واخيرا ، ان الشيوعيين المصريين يعتبرون ان الاتحاد القومي حزب ، وانه حزب الرأسمالية الوطنية الحاكمة وانه ليس جبهة وطنية على الاطلاق ، وانه بوصفه حزبا حليفا ، نتحد معه ونتصارع ضده في وقت واحد ،(٢٠) .
ويبقى بعد هذا الاستعراض أو الاستطراد أن نتوقف قليلا لنتأمل :

ـ الحكم وقد شبع من التأييد العالمي والعربي والمحلي قرر أن يقيم بناءه التنظيمي .. ولم يعد الان بحاجة الى مثل ذلك التحالف الوثيق مع الشيوعيين الذي شهدته بور سعيد ولجان المقاومة الشعبية .. الخ .

ثم بدأ يستجمع قواه ونفوذه ، واختار أصوأ رجاله سكرتيرا عاما للاتحاد القومي .. وبدأ السادات في املاء شروطه .. وهو واضح وصريح لا يريد للشيوعيين كحلفاء .. وانما أفرادا .. أي (أسرى حرب) .

ـ ونلاحظ أيضا أن الشيوعيين جميعا يرفضون ذلك .. ولكن على مسارين :

حدتو اذ تعترف بكل أخطاء الاتحاد القومي .. وكل المخاطر الكامنة فيه تدعو الى اقتحام القلعة ، وتدعو أعضاءها الى الانضمام للاتحاد القومي .. والصعود عبر مستوياته والاستفادة من ممكناته وفوق هذا مقاومة التيارات الخاطئة فيه والسعي عبر العمل والنضال لاقناع ، الحلفاء ، بأهمية دور الطبقة العاملة وحزبها ..

والسعي فوق هذا لتحويل الاتحاد القومي الى جبهة يتنامى فيها دور الشيوعيين ..

ـ الجماعة الاخرى التي اصطلحنا على أن نسميها جماعة الحزب .. ترى الاخطاء .. والمخاطر ، ولطها تضع تحليلا متسقا لواقع الاتحاد القومي ، لكنها تدعو الى « مخاصمة » الحليف ، والى المزلة عن « الاتحاد القومي » .. وتتطور من فهم طبقي راق الى تبسيط مخل .. اذ يتحول التحليل الى معادلة جامدة .. الاتحاد القومي ليس جبهة ، هو اذن حزب ، هو حزب للبرجوازية الوطنية ، نحن حزب الطبقة العاملة .. اذن لا شأن لنا بحزب البرجوازية .. فقط نتحالف ونتصارع معه ..

.. هكذا يمكن استعراض الحال .

فقط نريد أن نعود فنلح على أن كل ما سبق من عرض للمواقف كان

---

(٢٠) المرجع السابق ـ ص ١٩ .

يتخذ طابع الاجمال ، ففي صفوف كل فريق كانت هناك مواقف متباينة وكان بالامكان تقريب الالوان من بعضها البعض ، والخروج بمشتركات تتوحد عندها المواقف السياسية . بل وبالمزيد من الصبر والوقت كان بامكان اجراء فرز جديد على اسس سياسية وليس على أسس طائفية .

ولكن الازمة التنظيمية والاسراع الخالي من الفطنة بذبح الوحدة ادى الى التشبث بالاختلاف وكأنه عقيدة يتميز بها كل طرف .. كما ادى الى تحوصل المواقف وعجزها عن فرز ما هو صحيح وما هو غير صحيح في اطار المعسكر الواحد ..

* * *

ثم نأتي الى قضية الوحدة العربية ..

ولنبدأ كعادتنا بالمواقف الموحدة ..

.. « في بداية الامر تحدث الشيوعيون المصريون عن القومية العربية كمرحلة من مراحل النضال ضد الامبريالية ، كصرخة في المعركة ضد العدو المشترك .. ولكن بعد أن توحد الشيوعيون المصريون في حزب واحد ، تحولوا الى القول بفكرة القومية العربية . وأصدر الحزب دراسة تحدد موقفه من القومية العربية موقعة باسم خالد وعباس وقد جرى توزيعها على نطاق واسع » (٢١)

ويشير الى هذه الدراسة ايضا بل ويورد نصوصا كاملة منها الحكم دروزه في كتاب كرس أساسا لترويج سياسة العداء للشيوعية ويقول دروزه « ففي عام ١٩٥٨ قدم الحزب الشيوعي المصري لأعضائه دراسة عن القومية أصدرها في كراس بعنوان « مفهوم القومية العربية بقلم الرفيق خالد وعباس » (٢٢)

وقبل ان نستعرض ما جاء في هذا التقرير الهام نود أن نقرر ان كلا من عجواني والحكم دروزه قد أخطأ في نسبة هذا التقرير الى الرفيقين خالد وعباس .. ذلك أن كاتبي التقرير كانا « فريد » (محمود العالم) وسيد (د. عبد العظيم أنيس) » (٢٣)

---

(21) Agwani - Ibid - p. 168.

(٢٢) الحكم دروزه . الشيوعية المحلية ومعركة العرب القومية ــ الطبعة الثالثة ــ ١٩٦٣ ــ مكتبة مغيمنه ــ بيروت ص ١٧٢

(٢٣) بمناقشة مع د. فؤاد مرسي وأبو سيف يوسف ومحمود العالم أكدوا أن الكاتبين كانا فريد وسيد . ونضيف انه بعرض النصوص المنقولة عن الحكم دروزه منسوبة لهذا التقرير على د. فؤاد مرسي افاد بان النصوص تتفق مع ما تعيه الذاكرة عن هذه الوثيقة .

٠٠ ماذا يقول التقرير الذي قال د٠ مؤاد مرسي انه كتب بطلب من المكتب السياسي للحزب ٠٠

٠٠ « ٠٠ ان نشأة النظام الرأسمالي تعني بالضرورة القضاء على التجزئة والنظم الاقطاعية في اشكال الحكم والانتاج والحياة الاجتماعية ، وتدعم كل مقومات الوحدة القومية وتطورها ٠ ولهذا يؤرخ لظهور القومية بظهور النظام الرأسمالي ٠٠ ولم تشذ نشأة القومية العربية عن هذا القانون الموضوعي للتاريخ وان اختلفت عن سائر القوميات الاوروبية في مدلول نشأتها وذلك للملابسات الخاصة التي صاحبت هذه النشأة » ٠

و ٠٠ « لم تتخذ الحركة الوطنية العربية طابعا دينيا متعصبا ، بل ساهم فيها ـ وما زال يساهم ـ المسلمون والمسيحيون على السواء ، فكان المثقفون المسيحيون في بيروت والشام خاصة من اوائل الداعين الى الوحدة العربية والعاملين على احياء التراث الثقافي العربي » ٠

ثم يحدد التقرير مقومات القومية العربية فيقول

« ١ ـ القومية العربية هي حصيلة تاريخ مشترك لجماعة من الناس عاشوا وتآلفوا وناضلوا معا مئات السنين ٠

٢ ـ القومية العربية لها لغتها الواحدة التي تحمل تراثها وخلاصة خبراتها التاريخية ٠

٣ ـ القومية العربية تشترك في رقعة واحدة من الارض مهما اختلفت وتعددت مظاهرها الجغرافية ٠

٤ ـ القومية العربية لا تشترك في حياة اقتصادية واحدة ولكن هذه المشكلة ليست عائقا امام وجود القومية العربية ٠٠ لانه من الواضح أن هذه الحقيقة مرتبطة تماما بأن دولا استعمارية مختلفة لا تزال تسيطر على مقدرات وامكانيات وثروات اجزاء من الوطن العربي ٠٠٠ ولقد كانت السوق العربية المشتركة موجودة في الماضي قبل الاحتلال الغربي بشكل او بآخر ٠ وعمل الاستعمار على تحطيم هذه السوق بوعي ، والقضاء على تكامل الانتاج في الوطن العربي ، ومع ذلك فاسس التكامل في الانتاج لا تزال قائمة ، وان كانت متناثرة تقوم بينها الحدود المختلفة ٠

٥ ـ التكوين النفسي المشترك او (الطابع القومي) للامة العربية » ٠

ويمضي التقرير محذرا العديد من الرفاق الذين لم يكونوا قد تقبلوا بعد هذه الفكرة قائلا : « مهما كانت الفوارق السطحية التي تبدو لنا هنا في مصر مقنعة للبعض منا بانفسنا في نهاية الامر مختلفون نفسيا عن بقية

٠٠ وتقول « اتحاد الشعب » ان الوحدة بين مصر وسوريا تحقق منجزات عامة منها :

« ١ ـ انها توحد جهود شعبين متحررين من النفوذ الاستعمارى ضد الاخطار ٠

٢ ـ انها تفشل الخطة الامريكية التى ترمى الى تفتيت الصف العربى وعزل كل دولة والانفراد بها لتحطيمها ٠

٣ ـ انها تقيم دولة كبرى ضد التوسع الصهيونى ٠

٤ ـ ستكون الجمهورية العربية المتحدة مركزا قويا لكافة القوى الوطنية التى تكافح من أجل الاستقلال والحياد والوحدة العربية ٠٠»(٢٩)

٠٠ ولقد كانت هناك مآزق عديدة ٠٠ فالرفاق السوريون يتعرضون لضغوط شديدة ، وقضية الحريات والاحزاب طرحت بشكل حاد ، واتخذ عبد الناصر موقفا متشددا رافضا لاى تفاهم ، واعضاء الحزب يمتلكون الكثير من التساؤلات والانتقادات ٠ والحكم وصحافته واعلامه وقد استشعروا زهو الانتصار ارادوا أن ينفردوا به ، ورفضوا أى نقد أو حتى أى همس بأى اعتراض ، واعتبروه مروقا عن الوحدة وعن ارادة الشعب ونشازا عن اجماع الامة ٠٠

وفى محاولة للرد على تساؤلات القواعد ، أو حتى صرف اهتمامهم عنها يصدر الحزب بيانا مطولا بعنوان « بيان من الحزب الشيوعى المصرى عن الوحدة السورية المصرية » وقد حاول هذا البيان أن يستحث الجميع الى الاهتمام بدعم الوحدة ، وحاول أن يحذرهم من الالتفات الى السلبيات التى شابت عملية تحقيقها ، وحاول أن يذكر الجميع أن خصوم الوحدة هم الاستعمار والرجعية ٠٠ والبيان طويل ٠٠ نقتطع منه عبارات تقول :

« يستخدم الاستعمار العالمى بقيادة امريكا جميع الوسائل التى ترمى الى اضعاف القومية العربية وتأخير اندفاع الجماهير العربية فى طريق الوحدة ٠ وهذه المؤامرات توجه من خارج البلاد العربية ومن داخلها سواء بسواء ٠٠ »

ثم يضرب البيان على النغمة الموجعة ٠٠ والمؤثرة فى ذات الوقت

٠٠ « ٠٠ ولم تقف قوى الاستعمار والرجعية عند حد التفريق بين

---

(٢٩) اتحاد الشعب ـ جريدة الحزب الشيوعى المصرى ـ العدد الاول ـ فبراير ١٩٥٨ نشرة بحجم ضعف الفولسكاب مطبوعة بالمطبعة على شكل كراس (نسخة اصلية) .

الشيوعيين العرب وبقية الوطنيين العرب ، بل انهـا بدأت تثير الذعر بين الطبقة الرأسمالية الوطنية فى مصر وبين مثيلتها فى سوريا ، ومن هنـا راحوا يشيعون فى مصر أن الوحـدة ستصيب بالخراب صغار التجـار ومتوسطيهم • وبأن التجـار المصريين سـيكونون تحت رحمـة التجـار السوريين • وأشاعوا أن الرأسمالية المصرية وهى الرأسمالية الاقوى ستزحف على سوريا لتستثمر دماء الشعب العربى فى سوريا • وانهـا تمهد لذلك بالقضـاء على الحريات الديمقراطية وتشديد الكبت ضد الحزب الشيوعى السورى متعاونة فى ذلك مع الرجعية السورية •• »

ثم •• « ولكن هل تعنى معارضتنا فى حل الاحزاب أن مستقبل الديمقراطية مظلم فى الجمهورية العربية المتحدة ؟ كلا • لانه لا يجب أن ننظر الى مستقبل التطور الديمقراطى من زاوية وجود الاحزاب وحدها (!) ، وانما يجب أن ننظر الى المسألة من زاوية :

١ ـ ان القوى الشعبية والوطنية ستلتقى فى الدولة الواحدة وتتجمع وتناضل بكيفية فعـالة من أجل توسـيع الحريات الديمقراطية وتدعيمها •

٢ ـ وأن السياسة الوطنية التحررية السائدة فى الجمهورية العربية المتحـدة موجهة لاضعاف النفوذ الاستعمارى وتصفيته •

وهذا يخلق الظروف الملائمة لتطور الديمقراطية كمـا تخلقها السياسة التقدمية التى ترمى الى تصفية الاقطاع وتصنيع البلاد وتطوير الزراعـة فيهـا » •

بل واكثر من ذلك •• « واذا نظرنا بعـد ذلك الى الوحدة السورية المصرية فى تطورها التاريخى قلنـا أن هذه الوحدة ستدفع قضية التطـور الديمقراطى دفعـات قوية الى الامام •• ويجب علينـا فى الوقت نفسه ـ أن نحذر من أن ننحرف بقضية الوحـدة وتدعيمها الى وضع مسألة الأحزاب فى مركز الاحداث فان المهمة الرئيسية هى فى الدفاع عن الوحـدة الوليـدة وحمايتها ، والتوعية باهميتهـا العظمى ورفع الشـعارات التى تؤدى الى تطويرها لمصلحة الشعب » (٣٠)

ولا بد أن هذا البيان قـد أثار الرفاق فى قواعد الحزب ••

فان الحديث عن الأحزاب وعن الديمقراطية قد جاء بصورة مستسلمة تماما لاصرار عبد الناصر على توجهاته ولحساسيته المفرطة ضد أى انتقادات لهذه التوجهات ••

---

(٣٠) منشور بعنوان « بيـان من الحزب الشيوعى المصرى عن الوحدة السورية المصرية » ـ فبراير ١٩٥٨ نقلا عن الحكم ذروزه ـ المرجع السابق ـ ص ٢٠٦

العرب ، الا أن هذه النظرة ليست الا بقايا الانعزالية فى مصر ازاء القومية العربية » ٠

ثم يتحول التحذير الى تأكيد « ان القومية العربية على هذا الاساس الذى أوضحناه ليست شعارا سياسيا تكتيكيا ولا هى عصبية دينية ٠ ان القومية العربية ليست تطلع طبقة اجتماعية صاعدة نحو أسواق جديدة بهدف تكوين امبراطورية جديدة تخدم أغراضها التوسعية ٠ ان القومية العربية ظاهرة تكون أمة واحدة ، لها كافة المقومات الاساسية للامة الواحدة، وتناضل كل فئاتها الوطنية الشعبية لتجميع شتاتها المبعثر ، وتكامل اقتصادها الممزق وتطويره ، وخلق سوقها المشتركة واستعادة ثرواتها واراضيها التى سلبها الاستعمار ، والقضاء على كل القوى الرجعية والاستعمارية المعرقلة لنموها ، ورفع مستوى معيشة ابنائها وتطوير حياتها وتنمية ثقافتها ٠٠ » ٠

واخيرا ٠٠ « ان القومية العربية فى جوهرها حركة شعبية نضالية معادية للاستعمار ، فالاستعمار هو الذى أقام الحدود والحواجز فى وجه هذه القومية ٠٠ ولهذا كانت معركة التوحيد معركة فى جوهرها معادية للاستعمار ٠ وهى بالضرورة حركة تقدمية من الناحية الاجتماعية ، ففى نضالها ضد الاستعمار تناضل كذلك ضد عملائه وحلفائه من الاقطاعيين والاحتكاريين وهى تحرر ثروات أرضها وطاقات شعوبها من الاستغلال والاستعباد ٠٠٠ وهى بهذا تتيح لابنائها ارتفاعا فى مستوى المعيشة كما توفر لهم حريات ديمقراطية متعاظمة »(٢٤)

وتتوالى الأحداث ٠٠

وتتطور معها المواقف ، ونحن نمتلك لحسن الحظ عديدا من الوثائق بحيث تعطينا صورة شبه كاملة لتطور موقف الحزب ٠٠

ففى يناير ١٩٥٨ ٠٠ والحزب يوشك أن يتحد ٠٠ كانت الجمهورية العربية المتحدة توشك أن تولد ٠٠ ويعتبر الحزب هاتين الوحدتين رمزا لصمود الحركة القومية والحركة المعادية للاستعمار ٠٠

---

(٢٤) وردت بعض الفقرات المتطابقة تماما من هذه النصوص فى :

انور عبد الملك ــ المرجع السابق ص ٢٩٩

وايضا فى : ملف القضية ٨ عسكرية عليا لسنة ١٩٥٩ محضر اطلاع النيابة على المضبوطات ، ص. ١٥٥ بما يوحى بدقة المصدر . ويمكننا من الاعتماد ــ الى حد ما ــ على ما أورده من نصوص لوثائق اخرى حول ذات الموضوع .

واذ كانت اسس الوحدة المصرية السورية محل نقاش يسرح الحزب الوليد فيقول :

« ان المكتب السياسي للحزب الشيوعي المصري يرى أن الاتحاد الفيدرالي هو أنسب أشكال الوحدة بين بلدين . الا أن الشيوعيين المصريين لن يجعلوا من شكل الوحدة عقبة في سبيل اتمامها »(٢٥) .

وبينما كانت ترتيبات الوحدة المصرية السورية تجرى على قدم وساق أصدر المكتب السياسي للحزب الوليد سلسلة من البيانات والتوجيهات الحزبية عبر فيها عن توجيه السياسي لتأييد الحكم . وعن نظرته الايجابية للوحدة ، وتقديره لها ، واغفل ولفترة من الزمن الحديث عن انتقاداته للسلبيات التي واكبتها ..

ففي ٢٧ يناير ١٩٥٨ اصدر المكتب السياسي بيانا بعنوان « بيان الى الشعب عن الوحدة المصرية السورية » يقول : « في هذه الايام المجيدة تحرز بلادنا العربية انتصارا جديدا بتحقيق هدف من أكبر أهدافنا الوطنية هو الوحدة بين مصر وسوريا . فهذه الوحدة وان تكن وحدة بين بلدين عربيين الا انها تعبير عن ارادة الملايين من شعوب بلادنا العربية جميعا ، وهي ثمرة لنضالها ، وتدعيم للانتصارات والمكاسب التي ساهمنا جميعا في تحقيقها . وهي كذلك نقطة انطلاق نحو التحرر الكامل والوحدة الشاملة لقوميتنا العربية . » .

و .. « ولقد حملنا نحن الشيوعيين المصريين راية القومية العربية ودعونا الى تحقيق الوحدة بين مصر وسوريا .. معبرين عن ارادة شعبنا المصري ومصالحه الحيوية مدركين ادراكا علميا أن هذه الوحدة هدف رئيسي من أهداف نضالنا الوطني » .

ويعد ان يؤكد البيان الوجه الوطني والتقدمي والشعبي لهذه الوحدة بصفتها وحدة ضد الاستعمار وضد « اسرائيل صنيعة الاستعمار والصهيونية وضد حلف بغداد .. وضد مشروع ايزنهاور .. وضد القوى الرجعية في بلادنا العربية .. ومن أجل اطلاق قوى الشعبين وتجميع طاقاتهما من أجل رفع مستوى المعيشة وتخطيط الاقتصاد وتطويره وتنمية الثقافة الوطنية والشعبية » .

وبعد هذا .. « .. يعلن المكتب السياسي للحزب الشيوعي المصري

---

(٢٥) ملف القضية ٩ عسكرية عليا ـ الجزء الثاني عشر ـ محضر اطلاع النيابة على المضبوطات ص ١١٧٦ .

والرفـاق فى سوريا ، والرفاق فى مصر يمتلكون انتقادات على ممارسات ومواقف بدأت تزداد كل يوم لتزيـد معها انتقاداتهم ..

واختـارت القيـادة الطريق الصعب ..

للتأييـد مع الانتقـاد ، الوحـدة مع الصراع .

وهو أمر رفضه عبد الناصر رفضا مطلقـا .. فقد أصبح لا يقبـل بأقل من التأييـد المطلق .. وكفى .

.. وهكذا بدأت بوادر الصدام بين الحكم والشيوعيين .

ولم تمض سوى خمسة أيام على عيد الوحدة ، ٢٢ فبراير ، حتى أصدر الحزب العدد الثانى من جريدة « اتحاد الشـعب » .. ليؤكـد فى افتتاحيته : « يجب ألا يغيب عن ذهننا لحظة واحـدة أن أخطر مؤامرات الاستعمار هى محاولة تفتيت جبهة الوطنيين ، ومحاولة عزل الشيوعيين عن قضية الوحـدة العربية ، محاولة ضرب الشيوعيين بسائر الوطنيين .. ان سلاحنا الوحيـد هو الوحـدة الوطنية .. ان وحدة الوطنيين والبعثيين والاشتراكيين فى جبهة واحـدة مع الشيوعيين هى الضمان الوحيد لحماية انتصاراتنا ولمواجهـة مؤامرات الاستعمار .. ان خير جو لتدعيم الوحـدة الوطنية هو جو الحرية والديمقراطية التامين .. من أجل هذا يتطلع الشعب الى تكوين الاتحـاد القومى فى الجمهورية على أسس ديمقراطية جديدة ، بحيث يفتح أبوابه أمام جميع الهيئات والاحزاب والشخصيات الوطنية .. أمام جميع ممثلى الطبقات الشعبية والوطنية »(٣٢) .

.. وفى ذات العدد نقرأ عناوين من نوع :

« فى سوريا : مؤامرة لاغتيال خالد بكداش .

وفى مصر : مؤامرة لتشويه سمعة الشيوعيين »

وبعـد الحديث عن مؤامرة فى سوريا لاغتيال الامين العام للحـزب الشيوعى خالد بكداش تتحـدث « اتحاد الشعب » عن مؤامرة أخرى :

« ففى مكتب : ع . م المحامى (ذكر الاسم بالكامل) اجتمع أنصار الصاوى فى النقـل المشترك وقرروا :

١ ـ اصدار منشور مزيف باسم الشيوعيين فى النقل المشترك يوزع قبل الاستفتاء ليهاجم الوحـدة وانتخـاب جمال عبد الناصر .

---

(٣٢) اتحاد الشعب ـ العدد الثانى ـ المرجع السابق .

٢ ـ ان يتضمن المنشور دعوة الى اضراب عام لعمال النقل المشترك يوم ٢١ فبراير ، وكان الهدف هو تشويه سمعة الشيوعيين » ٠

٠٠ وهكذا احيط الحزب بمناخ غريب ، فلم يكن المطلوب منه مجرد ابتلاع اية انتقادات على أسلوب اتمام الوحدة ، بل وكان المطلوب منه أن يغوص وحتى هامته فى بحر التأييد المطلق ٠٠ حتى ينفى عن نفسه « تهمة » الاعتراض على الوحدة ٠٠

وتمضى « اتحاد الشعب » لتقول ٠٠ « وقد فشلت المؤامرة فقد اصدرت ٢٧ نقابة من نقابات النقل المشترك (حيث كان الشيوعيون يمارسون نفوذا واسعا) بيانا مشتركا بتأييد الوحدة وانتخاب جمال عبد الناصر ، ثم عقدت النقابات مؤتمرا ليلة الاستفتاء دعت فيه الشعب الى تأييد الوحدة » ٠

ويستمر الابتزاز ٠٠ ويستمر الخضوع له ٠٠ ففى ذات العدد مقال بعنوان « احتفال الشعب بالوحدة » يقول : « لا شك أن المحاولات قد بذلت لتشويه موقف الحزب الشيوعى السورى من الوحدة وبالتالى موقف الحزب الشيوعى المصرى جماهيريا » ٠٠ لقد أصدر الحزب خمس بيانات وعددا خاصا من جريدة «اتحاد الشعب» ووزع عشرات الآلاف من النسخ تدعو الشعب للاحتفال بالوحدة وتأييدها ، وفى المدارس والاحياء وفى مجالات المثقفين والفنانين والادباء وفى المصانع وقرى الصعيد النائية وعواصل الحركة التقدمية فى ريف الوجه البحرى كان رفاق الحزب فى المقدمة » ٠

بل انه ٠٠ « بدون نشاط الحزب الشيوعى فى مؤتمرات الاتحاد القومى عن الوحدة كان من الممكن أن تكون هذه المؤتمرات مزيلة » ٠

ويتضمن العدد ايضا مقالا بعنوان « رأى خالد العظم فى الاتحاد القومى » جاء فيه « قال خالد العظم رئيس الوزارة السورية ووزير الدفاع السورى فى تصريح له عن الاتحاد القومى : لقد حققنا فكرة الاتحاد القومى عندما دعونا للتجمع القومى بين الاحزاب لمواجهة المؤامرات التى يدبرها الاستعمار ٠٠٠ وهكذا يشارك السيد خالد العظم الشيوعيين وجميع القوى الوطنية المتقدمة رأيها فى طريقة تكوين الاتحاد القومى ، والمعروف أن التجمع القومى الذى أشار اليه السيد خالد العظم هو الذى يضم الحزب الشيوعى السورى وحزب البعث العربى والكتلة الاشتراكية الديمقراطيه وجماعة العظم فى البرلمان السورى » (٢٢)

---

(٢٢) المرجع السابق .

لقد كانت حساسية عبد الناصر واجهزته ازاء أى انتقاد ، أو حتى محاولة الايحاء بوجود سلبيات ·· تتضاعف وتلقى ظلالا من الحيرة على موقف القيادة الحزبية ·· فقد وضع عبد الناصر ورجاله الامر على نصل السكين ·· فاما أن تكون معه ، دفعة واحدة ، وفى كل التفاصيل ·· وبلا اية انتقادات ، واما أن تكون ضده ·· ولا طريق آخر ·

ولقد كان الاختيار صعبا بل وبالغ الصعوبة ·· فما أصعب أن ترى الخطر يتهدد الوطن والشعب وكامل التجربة ، ثم تمتنع عن الاشارة اليه مهددا نفسك ليس فقط بافتقاد الصدق أمام أعضائك وأمام جماهيرك ·· وانما أيضا بافتقاد مبرر وجودك ، وأيضا ما أصعب الاختيار بين ذلك ، وبين الوقوف ضد نظام وطنى معاد للاستعمار ويحقق صعودا جماهيريا محليا وعربيا ودوليا لا نظير له ·· صعود لا يمكن مجابهته ، بل وليس من المفيد مجابهته ، وهو فوق هذا يتعرض لهجمة استعمارية ورجعية شرسة تغريك بأن تتراجع عن أى نقد اذ تكتشف أنه عزف على نغمات الاعداء ·

·· وفى مواجهة حساسية عبد الناصر لاى انتقاد ولو كان همسا ، كانت هناك حساسية القواعد الحزبية التى بدأت تتململ ·· وترفض الاستمرار فى العزف على نغمة واحدة هى نغمة التغنى والمديح للحكم ··

وتضطر القيادة الحزبية الى اصدار توجيه داخلى ·· نلفت الانظار الى أهميته ، لانه يفسر الوضع المعقد ويلقى عليه الضوء ··

« توجيه داخلى : من السكرتارية المركزية للحزب الشيوعى المصرى ـ مكتب العمل الجماهيرى ـ ايها الرفاق ، تقدموا الصفوف الوطنية فى معركة الوحدة العربية » ·

هذا هو عنوان الوثيقة ·· أما كلماتها فتقول ·· « لاحظ المكتب السياسى فى اجتماعه الاخير أن اقساما هامة من الحزب لم تشترك اشتراكا فعالا فى المظاهرات ، والتحركات التى اعقبت اعلان الوحدة بين مصر وسوريا ، وقد علل بعض الرفاق هذا الموقف بقولهم أن البيان الذى أصدره الحزب تاييدا للوحدة هو بيان يمينى لانه لا يتحدث الا بكيفية عابرة عن مسالة الاحزاب فى سوريا ، وركز بعض الرفاق الاخرون اهتمامهم على موضوع الحريات الديمقراطية والخطر الذى يهددها فى سوريا ·· »

ثم ·· « ولكن هل القضية الكبرى هى قضية حل الاحزاب فى سوريا ؟ كلا ، القضية الكبرى هى ان تنجح الوحدة السورية ـ المصرية وتنشأ كقوة سلام فى منطقة الشرق الاوسط · هل الاصح أن نركز كل جهودنا فى نقد حل الاحزاب والنظر الى الوحدة من هذه الزاوية ؟ كلا · ان الموقف الاصح

هو أن نستفيد من المد الثورى الذى أحدثته الوحدة واقترن بها واعقبها ... انه من الخطأ أن نحصر موضوع الوحدة فى هذه الزاويه الضيقة زاوية حل الاحزاب ، ان الاصح هو أن نضع قضية انجاح الوحدة وحمايتها فوق كل قضية داخلية ... ان الموقف الصحيح الذى يخدم قضية الديمقراطية نفسها هو أن نحرك أوسع الجماهير من أجل حماية الوحدة وانجاحها .. »

.. ثم محاولة يائسة .. « أيها الرفاق تقدموا الصفوف فى معركة التحرر العربى ، ارفعوا لواء الوحدة العربية من أجل السلام والديمقراطية والرخاء ، أيدوا الوحدة فى كافة المجالات وبكافة الاشكال ، انضحوا كل المناورات التى تريد اظهار الشيوعيين بمظهر معاد للوحدة سواء فى مصر أو فى سوريا » (٣١)

لكن الامر لم يكن سهلا ..

فالمأزق المعقد لم يكن بالامكان الافلات منه باصدار بيان متقن الصياغة أو توجيه داخلى يلح على الاعضاء أن يؤيدوا الوحدة وأن ينسوا انتقاداتهم ..

المأزق كان يزداد تعقيدا .. والتعقيد كان ثمرة موضوعية لكل ما يجرى وحتى لعناصره الايجابية .

فعبد الناصر كان يعيش زهو الوحدة ، وفترة انتصارها المنطلق ، ولم يعد بحاجة الى حلفاء صغار أو كبار ، أو هكذا تصور . والتحرك الجماهيرى الواسع والذى راهنت قيادة الحزب على أنه سوف يتيح المتنفس الديمقراطى .. هذا التحرك تحول بذاته الى اداة فى يد عبد الناصر يستخدمها لفرض وصايته او ارادته على الجميع بادعاء ان الجماهير معه هو وحده .

وحتى المواقف المتصاعدة فى العداء ضدالاستعمار وفى التحالف مع المعسكر الاشتراكى قد أسهمت فى تعقيد الامر بحيث استثمرها عبد الناصر أيضا فى احراج كل من يحاول او يفكر فى محاولة فتح فمه ولو بكلمة انتقاد واحدة . بل ان عبد الناصر قد صرح لخاصته أكثر من مرة انه يدرك أن الشيوعيين « موضوعيين » وسوف يتحملون كل ضغط بمقابل استمرار سياسة العداء للاستعمار .

---

(٣١) بيان معنون « تقدموا الصفوف الوطنية فى معركة الوحدة العربية — توجيه داخلى — السكرتارية المركزية للحزب الشيوعى المصرى — مكتب العمل الجماهيرى » مؤرخ ١٠ فبراير ١٩٥٨ — مكتوب بالآلة الكاتبة ومطبوع بالرونيو — (نسخة اصلية) .

تأييـده لهذه الوحـدة تأييدا صادرا عن وعى واقتناع وثقة ويهنىء بهـا الشعب المصرى والسورى وبقيـة الشعوب العربية » ٠

وأخيرا ٠٠ « أيهـا المواطنون ٠٠ أن المكتب السياسى للحزب الشيوعى المصرى ليهيب بكم جميعـا أن تبذلوا لقضية الوحـدة المصرية السـورية ما تستحقه من عنـاية وجهـد ٠ ان هذه الوحـدة هى جوهر معركتكم مع الاستعمار ، انها جوهر معركتكم من أجل تدعيم استقلالنـا وتطـويره ، انهـا جوهر نضالكم من أجل رفع مستوى معيشتكم وحمـاية سـلام العالم » (٢٦)

ويوم ظهور نتيجة الاستفتاء الشعبى على قيـام الجمهورية العربيـة المتحدة على اسس الوحدة بين مصر وسوريا وانتخاب جمال عبد الناصر رئيسا للدولة الجديدة أصدر الحزب بيانا جديدا ٠٠

٠٠« اليـوم وقـد أعلن الشعب العربى فى مصر وسوريا عن ارادته ٠ اليوم وقـد ولدت الجمهورية العربية المتحـدة بارادة الملايين من ابنـاء مصر وسوريا وانتخب الرئيس جمـال عبد الناصر أول رئيس لها باجماع رائع ٠٠٠ اليوم يزف الحزب الشيوعى المصرى أحـر التهـانى الى الشعب العربى فى اقليمى مصر وسوريا ، بل والى الشعب العربى المتطلع الى الوحدة الشاملة فى كل ارجاء الوطن العربى العظيم ٠٠ نزف أحر التهانى الى جميع الوطنيين والشيوعيين العرب الذين توجت هذه وحـدة الخالدة كفـاحهم المجيـد »(٢٧) ٠

ونتوقف لنلاحظ أمرين هامين :

اولهمـا ان الشيوعيين قد تناسـوا وعن عمد ايراد أية ملاحظـات انتقادية على أسلوب اتمام الوحدة ٠٠ وقدكا انوا يمتلكون بالفعل انتقادات عدة ٠٠ ما لبثت أن تفجرت بعد قليل ٠

وثانيهما أن الشيوعيين ـ ولاول مرة ـ قد ألبسوا كلمـاتهم الزى القـومى المميز ٠٠ فلاول يرد فى منشور شـيوعى مصرى كلمـات وعبـارات مثـل « الشعب العربى فى مصر وسوريا » ٠

---

(٢٦) منشـور معنون » بيان الى الشعب عن الوحدة المصرية السورية » مطبوع بالمطبعة موقع المكتب السـياسى للحزب الشيوعى المصرى ـ مؤرخ ١٩٥٨/١/٢٧ (نسخة اصلية) .. ووردت اقتباسات صحيحة منه فى الحكم دروزه . المرجع السابق ـ ص ٢٠١

(٢٧) نقلا عن الحكم دروزه ـ المرجع السابق ـ ص ٢٠٤

.. ولاول مرة استخدموا عبارة « الشعب العربى » بدلا من « الشعوب العربية » ولاول مرة تحدثوا عن « الوطن العربى العظيم » .

ويوم اعلان الوحدة يصدر بيان جديد « عاشت الجمهورية العربية المتحدة » .

... « أيها المواطنون .. اليكم يزف الحزب الشيوعى المصرى تهنئته الحارة بهذا العيد العظيم ، عيد مولد الجمهورية العربية المتحدة ، عيد القومية العربية المنتصرة .. وهو فى الوقت ذاته عيد البشرية التقدمية كلها ، وثمرة من ثمرات كفاحها ، وهو عيد الشعوب المكافحة ضد الاستعمار وضد تجار الحروب . لان دولة قوية ومستقلة قد ولدت وقامت فى الشرق الاوسط ، .. لتعزز كفاح الشعوب ضد الاستعمار ، لتجمع الامة العربية ، ولتهمها الكفاح من أجل السلام والاستقلال والوحدة العربية » .

و .. « فى تاريخنا العربى المشترك انتصارات حققناها ، ومعارك كسبناها ولكن وحدة مصر وسوريا بداية عهد جديد ، بداية تحولات كبرى لم يعرفها تاريخ العرب من قبل ، ذلك لان الجمهورية العربية المتحدة تقوم لتضعف نظام الاستعمار فى العالم كله ، وتهدد كيانه ، وتساعد شعوب العالم على تصفيته نهائيا .. ولتبنى مجتمعا يتحقق فيه الرخاء والديمقراطية للشعب العربى الكادح مجتمعًا يستهدف بناء الاشتراكية » .

ويتحدث البيان طويلا عن مؤامرات الاستعمار والرجعية ضد الوحدة ..

ثم .. « ان ردنا على مؤامرتهم الدنيئة هو المزيد من اليقظة والحذر ، المزيد من الوحدة والتضامن بين الشعب والحكومة الوطنية ، المزيد من الجهود للقضاء على آثار الاستعمار .

تحية اليك أيها الشعب فى عيد وحدتك المقدسة ، تحية اليك فى عيد انتصارك » (٢٨)

.. ويصدر العدد الاول من مجلة الحزب الوليد .. « اتحاد الشعب » ليواصل ذات الموقف وتحتل الوحدة المصرية ـ السورية أول اهتماماته .. حتى ليكاد موضوع الوحدة المصرية ـ السورية يطغى على موضوع الوحدة الاخرى .. وحدة الشيوعيين ، وصدور أول مجلة جماهيرية مركزية موحدة لهم ..

---

(٢٨) منشور معنون « عاشت الجمهورية العربية المتحدة » موقع الحزب الشيوعى المصرى ـ مطبوع بالمطبعة ـ (نسخة اصلية) .

لكن الامر لم يخل من تململ فالجريدة تكتب تحت عنوان « نكتة » ٠٠ « فى يوم الاحد ٢٣ فبراير أذاع راديو القاهرة فى نشرة الساعة الثانية والنصف بيان فرع الحزب الشيوعى السورى فى حمص بتأييد الوحدة ، وانتخاب جمال عبد الناصر ، ولكن فى النشرات الثلاثة التى تلت هذه النشرة يقرأ البيان مع تعديل بسيط هو فرع الحزب « الشيعى » فى حمص ٠ فقد رأى المسئولون فى الاذاعة أن هذا التعديل أكثر وقارا وأبعد عن اليسارية ، وهكذا أضاف المسئولون فى الاذاعة حزبا جديدا الى الاحزاب السورية هو الحزب الشيعى » ٠

لكن ذلك لم يكن كافيا ٠٠ ولا مرضيا ٠

فعبد الناصر غير راض عن هذا النوع من اللمز ٠٠ والاعضاء والكوادر غير راضين عن هذا النوع من التأييد المتجاهل للسلبيات ٠

ويصدر العدد الثالث من « اتحاد الشعب » فى ١٥ مارس ١٩٥٨

ثلاثة أسابيع فقط مضت على الوحدة ٠٠ وكانت هناك مؤامرات استعمارية خطيرة على دولة الوحدة ، وكانت هناك أيضا أخطاء من قادة هذه الدولة ٠٠

٠٠ ويعالج الحزب الأمرين معا ٠٠ فالافتتاحية تصف دولة الوحدة بأنها « المنطقة المتحررة الوحيدة من أرض الوطن العربى الكبير ٠٠ وهى الدولة الوحيدة من بين جميع الدول العربية التى تتمتع باستقلال حقيقى ، وحرية حقيقية ، انها الدولة الوحيدة التى لا سيطرة لاستعمارى دخيل أو لاقطاعى رجعى على مصائرها ٠٠ انها قلعة الحرية فى الشرق العربى ، انها المنارة التى تتطلع اليها الشعوب العربية المكافحة ، انها المثل والأمل ٠٠ » (٣٤)

ولكن وفى اطار هذه المبالغات حاول الحزب أن يلقى بعض الضوء على السلبيات فقال فى تعليق على تشكيل وزارة الوحدة « ودارت الاتصالات بالشخصيات السورية كل على حدة ، وأدى ذلك الى استبعاد شخصيات وطنية عامة مثل خالد العظم » ٠

لكن الحنيا قامت ولم تقعد ٠

ولم يغفر التأييد المبالغ فيه ، ولا الالفاظ التى تضخم المعانى ٠٠

---

(٣٤) اتحاد الشعب ـ جريدة الحزب الشيوعى المصرى ـ العدد الثالث ـ ١٥ مارس ٥٨ ص ١ (نسخة أصلية) .

للمبالغين أى قدر من الهمس المعارض • ويكتب الحكم دروزه معلقا على هذه العبارة الرقيقة والتى قد تتضمن ما هو أقل من الانتقاد •• فيقول « كان الحزب الشيوعى المصرى هو أول الاحزاب الشيوعية التى بدأت تكشف عن حقيقة موقفها » (٣٥)

ولعل هذه العبارة توحى بالمناخ العام ليس فقط فى مصر ولا فى دولة الوحدة ولكن على الصعيد العالمى •• فهذه اللفتة الرقيقة اعتبرت خروجا عن الصف •• ووصف أصحابها بأنهم أول الشيوعيين الذين « كشفوا عن حقيقة موقفهم » ••

ويظل الحزب يسير فوق الشوك •

فالامور تتردى • والاخطاء تتكاثر ، والضمير الثورى يثقل أصحابه ليس فقط حرصا على الموقف المبدئى ، وانما حتى حرصا على تجربة الوحدة ذاتها ••

ويتضاعف الغضب الحكومى على الحزب مع صدور العدد الرابع من « اتحاد الشعب » حيث يسجل •• «وفى هذه الظروف التى نلاحظ فيها تدهورا مضطردا لمستوى معيشة الطبقات والفئات الشعبية ، ونلاحظ فى ذات الوقت ارتفاع الارباح التى تجنيها الشركات والمؤسسات الرأسمالية ، يأتى القانون الخاص بقصر الترشيح لمجالس ادارات النقابات على أعضاء الاتحاد القومى لكى يفاقم هذا الاتجاه » (٣٦)

•• وفى خضم هذه الدوامة •• تأتى ثورة العراق ، وتفتح أبواب الانطلاق الغير محدودة أمام الحزب الشيوعى العراقى ، وتبدو العراق نموذجا عربيا مختلفا ••

ونتوقف لنتذكر كلمات أشرنا اليها فى الفصل السابق ••

أنور عبد الملك يقول « شهدت الاسابيع الاولى فى ثورة العراق انطلاقا مدهشا للديمقراطية ••• بما شجع الفكرة القائلة بأن العراق الجديد هو الطريق الديمقراطى والتحررى للقومية العربية ، وأنه البديل عن الطريق الديكتاتورى الذى يمثله عبد الناصر » (٣٧)

وعجوانى يقول : « لقد اتجه الشيوعيون المصريون والسوريون

---

(٣٥) دروزه — المرجع السابق ص ٢١٩ .

(٣٦) اتحاد الشعب — جريدة الحزب الشيوعى المصرى — العدد الرابع — ٩ ابريل ١٩٥٨ (نسخة اصلية) .

(٣٧) عبد الملك — المرجع السابق — ص ١٣٦ .

بانظارهم تجاه الثورة العراقية .. الامر الذى اقلق عبد الناصر كثيرا .. » (٣٨)

واصبح الامر بالغ التعقيد .

صحيح أن ثورة العراق كانت ضربة عنيفة للاستعمار والرجعية .

ولكن النموذج الناصرى الذى اسرع بتاييدها بدأ يتحسس آثارها الجانبية . وأخذ منها ما هو سلبى بالنسبة له . فهناك نموذج ديمقراطى منطلق بغير حدود ، هذا النموذج يلفت انظار القوى الوطنية والتقدمية العربية والعالمية بعيدا عن النموذج الناصرى الذى ظل ولفترة طويلة وحيدا ، ومستمتعا وحده بكل اعجاب ، وكل تاييد .

وبدأ الاحساس بالمنافسة .. أو ان شئنا استخدام ألفاظ قد لاتليق ببحث أكاديمى لكنها معبرة تماما .. بدأ الاحساس بالغيرة . فالبطل الذى استمتع وحده بدور النجم .. واللاعب الوحيد على المسرح بدأ يشعر بأن الانظار تنصرف عنه الى بطل جديد لعله صعد بصورة أكثر درامية وأكثر جاذبية ومصطحبا معه هالة من الصخب الديمقراطى أثارت الاهتمام ولفتت الانظار ..

ولعل البطل قد أحس أن التاييد التقدمى العربى والدولى قد أصبح موزعا وليس منصبا عليه وحده ..

ولعله أحس بهواجس عديدة .

لكن الامر بالنسبة للشيوعيين أكثر من معقد . فان النظام لم يعد يطالبهم بالتاييد الكامل وبلا نقد ، وانما بتأييده وحده دون الاخرين .

وفى ذات الوقت كانت بعض مشكلات الوحدة المصرية ـ السورية قد بدأت فى البروز ويتطلب الامر بيانا مطولا يصدره المكتب السياسى للحزب الشيوعى المصرى .. يتحدث فيه عن الدعوة المتعجلة للوحدة مع العراق .. أو بالدقة لفرض الوحدة على العراق ربما بهدف احتواء هذا المد الديمقراطى فيقول « .. ونحن من أشد أنصار هذه الوحدة ، نطالب بها ، ونعتبرها خطوة ضرورية لتدعم الثورة فى العراق والتعجيل بالوحدة العربية الشاملة . ولا شك أن الاستعماريين سيقفون فى سبيل تلك الوحدة بكل وسيلة لديهم . وهاهم يتآمرون عليها حتى تخنق ، تارة بمحاولة تفكيك الوحدة المصرية السورية ، وتارة بمحاولة الايقاع بين البرجوازية العراقية والبرجوازية المصرية .. »

---

(38) Agwani - Ibid - p. 82.

ولكن ·· « فى ظل قومية كالقومية العربية ممتدة فى بلاد مترامية الارجاء ، وتسودها ظروف اقليمية واقتصادية وسياسية واجتماعية متفاوتة ، يصبح من الضرورى أن نضع فى الاعتبار دائما حقيقتين أساسيتين هما الخصائص الاقليمية والفروق الاقتصادية »

·· وكانت عبارة « الخصائص الاقليمية » تثير حساسية مفرطة لدى الحكم المصرى الذى كان مصمما على تطبيق نموذجه الخاص على كل أرض تتحد معه ··

بل ان البيان يقول : « ان أية وحدة تفرض بغير مراعاة للحقائق التاريخية والموضوعية ليست وحدة ناجحة »

وايضا انه من الضرورى ·· أن نضع فى الاعتبار الخصائص الاقليمية للبلاد المتحدة حتى لا نلغى شخصيتها أو نضعفها » (٢٩)

·· وتفرقت السبل بين الشيوعيين والحكم ·

ولكم يبدو غريبا ـ الآن ـ وعندما نتأمل عبارات كهذه يمكن ادراجها تحت بند البديهيات التى لا يمكن اى يختلف عليها احد ان عبارات كهذه قد سببت لدى الحكم كل هذا القدر من الحساسية ·· وقطعت السبل بينه وبين الحزب الشيوعى ··

* * *

ونلاحظ ان التوقيت واحد ·

القطيعة بسبب قضية الديمقراطية ·· وايضا بسبب القضية العربية ·

·· وكان الخلاف بين عبد الناصر والشيوعيين سببا للخلاف بين الشيوعيين أنفسهم فلقد اختلفوا ـ وربما بمبالغة مفتعلة ـ حول أسلوب معالجة هذا الخلاف مع عبد الناصر ··

ونلاحظ أولا أن تقرير الرفاق الاربعة فاروق ـ عاكف ـ احمد ـ خليل ·· الذى أشرنا اليه سابقا ، وسنعود اليه مجددا ، والذى عبر فى ذلك عن رأى الجناح الاساسى فى حدتو ··

ان هذا التقرير لم يشر مطلقا فى خلال سرده لأوجه الخلاف مع المجموعة

---

(٢٩) بيان مضمون « حول بعض التطورات الاخيرة فى الشرق العربى ـ صادر عن المكتب السياسى لحزب الشيوعى المصرى ـ مؤرخ فى ١٥ سبتمبر ١٩٥٨ ـ نقلا عن دروزه ـ المرجع السابق ـ ص ٢٣٠ .

الاخرى الى موضوع الوحدة ·· أو موضوع العراق · بما يوحى ان شقة الخلاف لم تكن واسعة فى هذا الصدد ·

لكن رفاق حدتو والموحد قد أبدوا رفضهم لمحاولة الوقوع فى فخ المفاضلة بين عبد الناصر وعبد الكريم قاسم مدركين الاثر الشخصى والنفسى لمثل هذه المفاضلة على عبد الناصر ورجاله ··

يقول أحمد الرفاعى « وبعد ثورة العراق برزت محاولات الراية و ع · ف فى تنمية سياسية العداء للثورة · وبدأوا فى رفع شعار ضار للغاية هو « زى قاسم يا جمال » على أساس أن الشيوعيين قد وصلوا السلطة فى العراق ·· وبدأوا فى التأييد الحماسى للعراق ضد عبد الناصر ·· أما نحن فقد كان موقفنا هو محاولة توحيد الثورتين فى المسار العادى للاستعمار ورفض نغمة المفاضلة بينهما ، بل السعى لحل اية خلافات قد تنشأ بينهما ··

وفى أحد المؤتمرات الجماهيرية فى حى عابدين بدأ رفاقهم يهتفون « زى قاسم يا جمال » ورد عليهم رفاقنا « ثورة واحدة ضد الاستعمار » ·· والغريب ان المباحث قبضت فى ذلك اليوم على عدد من رفاقنا الذين دافعوا عن الموقف الصحيح مثل شكرى عبد الوهاب واحمد حجازى ·· وأفرج عنهم فيما بعد »(٤٠) ·

ويروى شحاته النشار ذات الواقعة مضيفا ·· « ان تعليمات رفاقنا كانت تقضى بمنع الاخرين من الهتاف زى قاسم يا جمال وايقافهم عند حدهم ·· ويقول ان تسعة من الاخرين قد قبض عليهم ايضا »(٤١) ·

·· ويستمر الخلاف ، ليتصاعد ، ويقع الانقسام ·

* * *

وقبل ان ننتقل الى موقع آخر نحاول ان نشير الى بعض الزوايا الهامة من الرؤية : فالخلافات التى قامت بين الشيوعيين وعبد الناصر لم تكن مفتعلة ، بل كانت أمرا واقعيا أفرزته رؤى مختلفة ، وربما تجارب مختلفة ، ومواقع طبقية مختلفة ·

وكذلك نلاحظ ان الشيوعيين قد تجنبوا ـ وربما بصبر مبالغ فيه ـ أى تصادم مع الحكم فقد كانت أمامهم عقدة ان الحكم وطنى ، ومعاد للاستعمار ، وان الاستعمار والرجعية يتآمران عليه ··

---

(٤٠) الرفاعى : محضر المناقشة بعدن ـ المرجع السابق .

(٤١) النشار : المرجع السابق .

وأيضا ان الحكم قد استمرأ عملية الاحساس بانه اذ يواصل معركته ضد الاستعمار والرجعية فان على الاخرين أن يبلعوا آلامهم وان يمتنعوا عن أى نقد حتى ولو كان صائبا ، وعن أى انتقاد حتى ولو كان ضروريا ·· وانه قد رفض أن يستمع أو يسمح بحوار حول قضايا الخلاف ·

كذلك سجل ان قضايا الخلاف أو بالدقة قضيتا الخلاف : الديمقراطية ·· واسلوب ممارسة الوحدة العربية ··

كانتا وبالدقة ، كعب اخيل ، بالنسبة للنظام فمهما أتت الضربات المتتالية ، وبسببهما وقعت أكثر من كارثة ، بل وصفعت التجربة بأكملها فيما بعد ·

ولعل من حق الشيوعيين الآن ان يستعيدوا كل ما وجهوه من انتقادات فى هذا الصدد وان يتساءلوا ماذا لو ·· ؟

·· ماذا لو أن النظام قد استمع لصوت العقل ومارس قدرا من الحوار الديمقراطى ·· وناقش الانتقادات بصدر رحب ؟ ماذا لو أخذت انتقاداتهم مأخذ الجد ··

أخيرا نلاحظ انه وبالقدر الذى ضاق فيه صدر النظام عن أى حوار ديمقراطى ·· مما اوقعه فى منزلق انهاء كامل التجربة بعد عدة سنوات ، فان الشيوعيين قد مارسوا نفس الخطأ فيما بينهم فضاق صدرهم بالحوار الحزبى وحاول البعض أن يستخدم الاغلبية العددية فى القيادة استخداما عنيفا ، وتمرد البعض تمردا متعجلا ·· وانتهى الامر بالانقسام ·